الشعر والدراسات الشعرية في العراق

بقلم هلال ناجي

***

طريف وماتع مقال صديقنا الكريم الاستاذ محمد عبد الغني حسن المعنون (حركة الشعر والدراسات الشعرية) والمنشور في « الاديب » يونيو ١٩٧١ .

لكنني وجدته يقتصر في ملاحظاته على رصد هذه الحركة في مصر العربية واحيانا في سوريا وذكر العراق مرة واحدة استثناء ، وكنت احب له وهو اللوذعي الواسع الاطلاع ، لو مد جناحيه فشمل بحثه رصد هذه الحركة على امتداد وطننا العربي الكبير .

واذا كنت اشارك الاخ الباحث في ما ذكره من اسباب هذه النهضة التراثية ، فانني اضيف الى اسبابه سببا اظنه ابرزها ، هذا السبب اننا نعيش فترة تماثل ما مرت به شعوب اوربا في بداية عصر النهضة اذ عمدت الى نشر التراث اليوناني واللاتيني وآدابها القديمة واتخذتها منطلقا لنهضتها الادبية .

ولقد ادرك جيلنا ان لا ثمرة بغير شجرة وان لا شجرة بغير جذور ، والجذور هي هذا التراث الشعري العظيم الذي نشهد بعثه ونرصد حركته ، وهذا في رايي السبب الرئيسي في العناية الملحوظة بنشر هذا التراث .

ولعلي اضيف جديدا اذا قلت : ان حركة نشر الشعر العربي القديم في العراق خلال الاعوام الاخيرة هي حركة عملاقة كشفت عن طاقات كمينة خلاقة وعن حس عربي اصيل هو في جانب منه رد فعل عميق للتيار الشعوبي المتشعب الجذور في بلادنا . وان كانت هذه الطاقات تختلف من محقق لآخر .

لقد نشر في العراق من دواوين شعراء العرب القدماء ما يلي :

١ ـ شعر خفاف بن ندبة السلمي (المتوفي نحو ٢٠ هجرية) جمعه ونشره الدكتور نوري حمودي القيسي (بغداد ١٩٦٨) .

٢ ـ شعر ربيعة بن مقروم الضبي (المتوفي بعد ١٦ هـ) نشره الدكتور نوري حمودي القيسي (بغداد ١٩٦٨) .

٣ ـ شعر ابي زبيد الطائي (المتوفي نحو ٤١ هـ) نشره الدكتور نوري حمودي القيسي (بغداد ١٩٦٨) .

٤ ـ شعر الاسود بن يعفر النهشلي . نشره الدكتور نوري حمودي القيسي (بغداد ١٩٧٠) .

٥ ـ شعر النمر بن تولب . نشره الدكتور نوري القيسي (بغداد ١٩٦٩) .

٦ ـ ديوان العباس بن مرداس السهمي ، نشره الدكتور يحي الجبوري (بغداد ١٩٦٨) .

٧ ـ شعر النعمان بن بشير الانصاري (المتوفي سنة ٦٥ هـ) نشره الدكتور يحيي الجبوري (بغداد ١٩٦٨) .

٨ ـ شعر (المتوكل الليثي) نشره الدكتور يحيى الجبوري (بيروت ١٩٧١) .

٩ ـ شعر (عروة بن الاذينه) نشره الدكتور يحي الجبوري (بيروت ١٩٧١) .

١٠ ـ ديوان ليلى الاخيلية ، جمع وتحقيق الاستاذين . خليل وجليل ولدي ابراهيم العطية (بغداد ١٩٦٧) .

١١ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي (المتوفي نحو ٣٥ ق. هـ) جمعه ونشره محمد جبار المعيبد (بغداد ١٩٦٥) .

١٢ ـ ديوان ابن هرمه ، جمعه ونشره محمد جبار المعيبد (١٩٦٩) ، وهو يمتاز على طبعة مجمع دمشق الصادرة في السنة ذاتها بزيادات كثيرة .

١٣ ـ ديوان طهمان بن عمرو الكلابي . نشره محمد جبار المعيبد (بغداد ١٩٦٨) .

١٤ ـ شعر عبد الصمد بن المعذل (المتوفي ٢٤٠ هـ) جمعه ونشره زهير غازي زاهد (بغداد ١٩٧٠) .

١٥ ـ ديوان ابي الاسود الدؤلي (المتوفي ٦٩ هـ) . نشره عبد الكريم الدجيلي في بغداد سنة ١٩٥٤ ونشره محمد حسن آل ياسين مرتين ، الاولى ببغداد عام ١٩٥٤ والثانية عام ١٩٦٢ .

١٦ ـ ديوان ابي حيان الاندلسي (المتوفي ٧٤٥ هـ) نشره الدكتور احمد مطلوب وقرينته الفاضلة الدكتورة خديجة الحديثي (بغداد ١٩٦٩) . وكانا قد نشرا في بغداد سنة ١٩٦٦ مجموعة من شعره تحت عنوان ـ من شعر ابي حيان الاندلسي ـ قبل ظفرهما بمخطوطة الديوان .

١٧ ـ ديوان محمد بن عبد الملك الزيات (المتوفي ٢٣٣ هـ) . نشره الدكتور جميل سعيد (القاهرة ١٩٤٩) .

١٨ ـ شعر عروة بن حزام . نشره الدكتور احمد مطلوب وابراهيم السامرائي (بغداد ١٩٦٥) .

١٩ ـ ديوان القطامي . نشره الدكتوران احمد مطلوب وابراهيم السامرائي (بغداد ١٩٦٢) .

٢٠ ـ ديوان لقيط بن يعمر الايادي ـ حققه ونشره الاستاذ خليل العطية (بغداد ١٩٧٠) .

٢١ ـ ديوان كشاجم (المتوفي سنة ٣٦٠ هـ) نشرته خيرية محمد محفوظ (بغداد ١٩٧٠) .

٢٢ ـ ديوان كعب بن مالك الانصاري (المتوفي ٥٠ هـ) نشره الدكتور سامي مكي العاني (بغداد ١٩٦٦) .

٢٣ ـ شعر الكميت بن زيد الاسدي (المتوفي ١٢٦ هـ) نشره الدكتور داود سلوم (النجف ١٩٦٩) .

٢٤ ـ شعر يزيد بن مفرغ الحميري (المتوفي ٦٩ هـ) . جمعه ونشره الدكتور داود سلوم (بغداد ١٩٦٨) .

٢٥ ـ شعر نصيب بن رباح (المتوفي ١٠٨ هـ) نشره الدكتور داود سلوم (بغداد ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨) .

٢٦ ـ شعر ثابت قطنة العتكي (المتوفي ١١٠ هـ) نشره ماجد احمد السامرائي (بغداد ١٩٧٠) .

٢٧ ـ ديوان الشريف المرتضى . نشره رشيد الصفار في (القاهرة ١٩٥٨) .

٢٨ ـ ديوان العرجي (المتوفي نحو ١٢٠ هـ) . نشره المرحوم خضر الطائي والاستاذ رشيد العبيدي (بغداد ١٩٥٦) .

٢٩ ـ ديوان العباس بن الاحنف (المتوفي ١٩٢ هـ) نشره الاستاذ عبد المجيد الملا سنة ١٩٤٧ ثم نشرته عاتكة الخزرجي (القاهرة ١٩٥٤).

٣٠ ـ ديوان قيس بن الخطيم. نشره الدكتور ابراهيم السامرائي (بغداد ١٩٦٢) .

٣١ ـ شعر المثقب العبدي . نشره محمد حسن آل ياسين (بغداد ١٩٥٦) .

٣٢ ـ ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني . نشره الاستاذ خليل ابراهيم العطية (بغداد ١٩٦٢) .

٣٣ ـ شعر النجاشي الحارثي ـ نشره الدكتور سليم النعيمي (بغداد ١٩٦٥) .

٣٤ ـ شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (المتوفي ٦٨٠ هـ) نشره الدكتور حسين علي محفوظ (بغداد ١٩٦٨) وهي ملتقطات جمعها

المحقق من كتب الادب المختلفة وقد اعلمنا الصديق علي الخاقاني بانه في طريقه لنشر الديوان كاملا على نسخة فريدة بحوزته .

٣٥ ـ ديوان السموأل . نشره محمد حسن آل ياسين (بغداد ١٩٥٤) .

٣٦ ـ شعر الراعي النميري (المتوفي ٩٠ هـ) . نشره الدكتور ناصر الحاني وعز الدين التنوخي (دمشق ١٩٦٤) وهي نشرة ناقصة جردنا لها كتابا اسميناه (البرهان على ما في شعر الراعي من وهم ونقصان) .

٣٧ ـ ديوان السيد الحميري (المتوفي ١٧٣ هـ) . جمعه ونشره شاكر هادي شكر (بيروت ١٩٦٦) .

٣٨ ـ ديوان الشاب الظريف (المتوفي ٦٨٨ هـ) . حققه واعد تكملته شاكر هادي شكر (النجف ١٩٦٧) .

٣٩ ـ ديوان طلائع بن رزيك الملك الصالح . جمعه محمد هادي الاميني (النجف الاشرف ١٩٦٤) .

٤٠ ـ ديوان الصاحب بن عباد ـ تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد ١٩٦٥) .

٤١ ـ ديوان عمرو بن معد كرب الزبيدي ـ حققه الاستاذ هاشم الطعان (بغداد ١٩٧٠) ، وهو من انفس الدواوين تحقيقا وتخريجا .

٤٢ ـ ديوان ابي بكر الشبلي (المتوفي ٣٣٤ هـ) . نشره الدكتور كامل مصطفى الشيبي (بغداد ١٩٦٧) .

٤٣ ـ ديوان دعبل بن علي الخزاعي . جمعه وحققه عبد الصاحب الدجيلي الخزرجي (النجف ١٩٦٢) .

٤٤ ـ ديوان محمود بن حسن الوراق جمعه عدنان راغب العبيدي (بغداد ١٩٦٩) .

٤٥ ـ ديوان الحارث بن حلزة ـ اعاد تحقيقه ونشره هاشم الطعان (بغداد ١٩٦٩) .

٤٦ ـ ديوان توبة بن الحمير الخفاجي ـ حققه خليل ابراهيم العطية (بغداد ١٩٦٨) .

٤٧ ـ شعر بن ميادة (المتوفي ١٤٩ هـ) ـ جمعه محمد نايف الدليمي (الموصل ١٩٧٠) .

٤٨ ـ شعر الاحوص الانصاري . جمع وتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي (النجف ١٩٦٩) .

٤٩ ـ شعر النامي . تحقيق صبيح رديف (بغداد ١٩٧٠) .

٥٠ ـ شعر محمد بن عمار الاندلسي . (بغداد ١٩٥٧) جمعه ونشره الدكتور صلاح خالص .

٥١ ـ ديوان صالح بن عبد القدوس . جمعه ونشره عبد الله الخطيب (بغداد ١٩٦٧) .

٥٢ ـ شعر عبد الرحمن بن حسان . نشره وحققه الدكتور سامي العاني . بغداد ١٩٧٠ .

٥٣ ـ ديوان ابن سينا ـ نشره الدكتور حسين محفوظ (طهران ١٩٥٧) .

٥٤ ـ ديوان ابن الخياط الدمشقي (المتوفي ٥١٧ هـ) نشره محسن الجواهري في النجف ١٢٤٣ هـ .

٥٥ ـ ديوان ابن الدمينة نشره محمد الهاشمي (القاهرة ١٩١٨).

٥٦ ـ ديوان شيخ الابطح ابي طالب . نشره محمد صادق بحر العلوم (النجف ١٣٥٦) .

٥٧ ـ ديوان اسحق الموصلي . نشره ماجد العزي (بغداد ١٩٧٠). الى غير ذلك .

لكن حركة نشر الشعر القديم في العراق لا تقتصر على نشر دواوين الشعراء القدماء بل تتعدى ذلك الى نشر المجاميع الشعرية مما انتقاه بعض القدماء من شعر شعراء قبيلة معينة مثل كتاب « التمام في تفسير اشعار هذيل مما اغفله ابو سعيد السكري » وقد نشره الدكاترة احمد مطلوب وخديجة الحديثي واحمد ناجي القيسي (بغداد ١٩٦٢) .

او مما انتقاه بعض القدماء من شعر مجموعة من الشعراء مما سمي بالحماسات تجاوزا ، مثل « حماسة الظرفاء » للعبد لكاني التي انتهى من تحقيقها الاستاذ محمد جبار المعيبد ودفعها للمطبعة . ومثل « الموفقيات » للزبير بن بكار والتي حققها الدكتور سامي مكي العاني وهي في طريقها للمطبعة . ويمكن ان ندرج في هذا الصنف كتاب « جيش التوشيح » تصنيف لسان الدين بن الخطيب والذي حققه كاتب السطور بالاشتراك مع الشيخ محمد ماضور ونشراه في تونس عام ١٩٦٧ .

وهنالك صنف آخر من النشريات الشعرية يتناول شروح بعض الدواوين او تفسير القصائد القيمة ، وابرزها مما صدر في السنوات الاخيرة :

١ ـ تفسير ارجوزة ابي نؤاس في تقريظ الفضل بن الربيع وزير الرشيد والامين ونشره الاستاذ الاثري (دمشق ١٩٦٦) .

٢ ـ شرح ديوان المتنبي لابن جني المسمى (الفسر) ، وقد نشر الجزء الاول منه ببغداد سنة ١٩٧٠ بتحقيق الدكتور صفاء خلوصي .

نشر هذه المجاميع الشعرية القيمة من قبل محققين من عرب العراق يقف على صعيد واحد مع الجهود المثمرة التي نهد اليها بعض اشقائنا في مصر والشام عندما نشروا جمهرة اشعار العرب بتحقيق البجاوي والحماسة الشجرية بتحقيق عبد المعين الملوحي وشرح القصائد السبع الطوال بتحقيق عبد السلام هارون والمفضليات والاصمعيات والوحشيات وكلها طبعت في القاهرة ، والحماسة البصرية التي طبعت في الهند .

ثم ان اتجاه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية الى نشر دواوين القدماء هو اتجاه مشكور ، لولا رغبة بعضنا في ان تصدر هذه الدواين في سلسلة مستقلة لتظل مجلة المعهد مكرسة للبحوث بما يأتلف وخطة المجلة عند نشوئها . وصحيح ان عددا من البلدان العربية صارت تعنى بنشر الشعر القديم مخرجا ومحققا وموثقا توثيقا علميا . الا ان هذه البلدان تفتقد للاسف ابسط وسائل التنظيم والتنسيق فيما بينها ، فلا يوجد تنسيق بين هذه الجهود المثمرة . وبالتالي نفاجأ بصدور الديوان الواحد في بلدين عربيين في وقت واحد او متقارب مما يؤدي عمليا الى بعثرة الجهد وضياعه ، من امثلة ذلك نشر ديوان ابن هرمة في العراق والشام في وقت واحد ونشر ديوان الاحوص الانصاري في العراق ومصر في وقت واحد .

فمسالة التنسيق بين جهود المحققين والناشرين العرب يجب ان تاخذ مكانها الاول منعا لتبديد الجهود وصونا لها . وكنت قدمت جملة اقتراحات في هذا الخصوص الى لجنة توثيق الارتباط بالتراث العربي المنبثقة عن مؤتمر الادباء العرب التاسع المنعقد ببغداد في نيسان ١٩٦٩ ، اقرت في حينها ضمن توصيات المؤتمر وحبذا لو جرى العمل بها ، اذن لارتفعت هذه الازدواجية وانتهت هذه المشكلة .

ويلاحظ الاستاذ محمد عبد الغني حسن ان نسبة ما نشر من الشعر عموما قديما ومعاصرا في مصر هي منخفضة اذا ما قورنت بالعلوم والآداب والفنون الاخرى . وهذا حكم يصدق على ما نشر في غير مصر ايضا وان ارتفعت النسبة في العراق قليلا اذ ما زال العراق سوقا رائجة للشعر عموما قديمه وحديثه .

واشار الاخ الباحث الى ان نشر « ريحانة الالباء » للخفاجي (ونفحة الريحانة) للمحبي وقد نشرا بمصر كان عملا مهما في مفهومنا الخاطىء للشعر العربي في القرنين العاشر والحادي عشر .

واضيف الى هذا الحكم ان اهمية هذين الكتابين انهما حلقتان في السلسلة الذهبية التي خلفها لنا السلف الكريم ابتداء من الاغاني ومعجم الادباء فيتيمة الدهر ومرورا بدمية القصر ووشاح الدمية والخريدة والريحانة والنفحة وسلافة العصر والروض النضر . وبالنسبة لجهود العراقيين في هذا الصدد احب ان اشير الى نشرة (الخريدة) ـ القسم العراقي بجزئين من قبل العلامة محمد بهجت

الاثري والدكتور جميل سعيد ، وجدير بالذكر ان جزلين اخرين من هذا القسم العراقي (وهو اضخم الاقسام كافة) ، قد انجزهما مؤخرا الاستاذ الاثري واطلعني عليهما وهما في طريقهما الى المطبعة وبهما تمام القسم العراقي .

وهناك دمية القصر للباخرزي التي نشر الجزء الاول منها مؤخرا ببغداد الدكتور سامي العاني ، وهي من اقيم النشرات وقد انتهى هذا الباحث من تحقيق ـ وشاح الدمية ـ للبيهقي ودفعه الى المطبعة . كما علمنا بان الدكتور سليم النعيمي قد اوشك على الانتهاء من تحقيق كتاب ـ الروض النضر في تراجم فضلاء العصر ـ لعثمان الدفتري العمري .

وفي العراق تسهم عدة جهات في نشر كتب التراث ، منها وزارة الثقافة ووزارة التربية وجامعة بغداد ونقابة المعلمين والمجمع العلمي العراقي باشكال ونسب مختلفة . وتقف جهود قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى شامخة عملاقة في هذا الصدد .

وفي حقل الشعر المترجم من غير العربية تبدو ضآلة ما نشر منه في العراق لكن لا بد من الاشارة الى بضعة اعمال قيمة منها كتاب ـ نفحات من خمائل الادب الفارسي وهي مختارات شعرية ترجمها الاستاذ جعفر الخليلي الى العربية شعرا ومجموعة من الشعر الاذربيجاني نشرتها وزارة الاعلام العراقية مؤخرا ، بعنوان اغنيات الربايجانية ـ ورباعيات لخمي ـ وقد ترجمها الى العربية شعرا الدكتور مصطفى جواد ويمكن ان نضيف اليها عملا قديما هو رباعيات الخيام ـ التي ترجمها الى العربية شعرا ونثرا عدد من العراقيين ونشروها منهم الاساتذة احمد الصافي النجفي والزهاوي واحمد حامد الصراف والحيدري لكن عطار نامة للعطار النيسابوري التي ترجمها الدكتور احمد ناجي القيسي عن الفارسية تقف في المقدمة .

وفي حقل ترجمة الدراسات الاجنبية حول الشعر العربي القديم والحديث يبدو الدكتور ـ صفاء خلوصي ـ في المقدمة بترجمته لكتاب (نيكلسون) عن الادب العربي .

وفي نطاق المسرحية الشعرية كانت للعراقيين اعمال جيدة ، لكن سوء توزيع الكتاب العراقي حجبها عن اخواننا في البلاد العربية الاخرى من هذه الاعمال البارزة مسرحيات الاسوار ، وشمسو ، والزيتونة للشاعر المبدع خالد الشواف . ومسرحيتا قيس ولبنى ، واهل الكهف للمرحوم خضر الطائي ومحمد الهاشمي في مسرحية ـ سميراميس . لكن العمل الكبير الذي ننتظره في هذه الايام هو صدور مسرحية ـ كلكامش ـ الشعرية للشاعر الكبير حازم سعيد احمد والتي تعيد الى الذهن ان هذا البلد العربي كان مهدا للملاحم الشعرية قبل ـ هوميروس ـ بالف عام .

اما الدراسات المتصلة بالشعر ، من دراسة لشاعر معين ، او دراسة للشعر في عصر من العصور او في قطر من الاقطار او في مدينة المدن او كفن من الفنون فهي كثيرة ومتشعبة . ففي نطاق الدراسات الاكاديمية نجد بعض الاساتذة العراقيين يختارون لاطروحاتهم دراسة الشعر العراقي في فترة من الفترات وهكذا كانت رسائل الدكاترة احمد عبد الستار الجواري والفداوي الزهيري وعلي جواد الطاهر مغطية للشعر العراقي حتى نهاية القرن السادس الهجري ونهد اساتذة عراقيون آخرون لكتابة اطروحات عن الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ومنهم ابراهيم الوائلي والدكتور يوسف عز الدين ، مضافا اليها دراسة للدكتور مهدي البصير عن نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر .

ونهد آخرون لدراسة الشعر العراقي في فترات من القرن العشرين ومنهم الدكاترة يوسف عز الدين وداود سلوم وجلال خياط .

ولكن الفجوة الحقيقية التي ما فتئت تنتظر باحثا هي دراسة الشعر العراقي من القرن السابع الهجري وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري . ومحاولة عباس العزاوي في كتابه ـ تاريخ الادب في العراق ـ من ٦٥٦ هـ الى ١٢٢٥ هـ هي محاولة فجة وغير علمية .

الكسل ما زال ينيخ بكلكله على بعض اساتذة الجامعة عندنا ، ممن اعدوا رسائل علمية عن بعض شعراء العراق مثل الكاظمي والزهاوي وجواد الشبيبي ونالوا بها اجازات علمية ومرت سنوات طوال وما زالت هذه الرسائل طي الادراج . واعرف اديبين من هؤلاء احدهما الصديق الدكتور محسن غياض كتب رسالة جامعية قيمة عن الكاظمي والاخر علي عباس علوان وله رسالة عن الزهاوي ، ولكن هاتين الرسالتين لم تنشرا للان . ان بعض جامعات الغرب على صواب حين تشترط على الطالب الحائز للاجازة العلمية ، طبع رسالته قبل تسليمه الشهادة ، فطبع الرسالة شرط لتسلم الشهادة .

ما احوج جامعاتنا الى مثل هذا الشرط .

ان الدراسات الشعرية في العراق تتسم احيانا بالطرافة ، احد الادباء وهو الحلفي ـ تشد انتباهه ظاهرة السجون المقيتة في بلدنا عبر العصور فيؤلف كتابا عن ـ ادب السجون ـ وآخر هو الدكتور جلال الخياط ـ تسترعيه ظاهرة الاستجداء بالشعر فيؤلف كتابه ـ التكسب بالشعر ـ وبعضهم يحاول دراسة الشعر في مدن عراقية معينة عبر العصور كالسيد علي الخاقاني ـ في كتبه : شعراء الغري وشعراء الحلة وشعراء بغداد . وللاخ سلمان الطعمة كتاب (شعراء كربلاء) وليونس الشيخ ابراهيم كتاب (شعراء سامراء) ولبعضهم كتاب شعراء ديالي ، وقد يتناول الباحث موضوعا معينا في شعر مدينة معينة مثل كتاب ـ فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ـ لمحمد حسين الصغير .

ومن الانصاف ان نقول ان الاساتذة المصريين درسوا الحركة الشعرية في بعض مدننا في كتابين يحتلان مركز الصدارة هما : الحركة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني للهجرة للدكتور احمد كمال زكي .

والشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري للدكتور يوسف خليف .

قلنا ان الدراسات الشعرية قد تتناول دراسة الشعر في عصر من العصور او في مدينة من المدن وضربنا على ذلك الامثلة ونضيف انها قد تتناول دراسة حدث سياسي معين واثره في الشعر العراقي مثل كتاب عبد الحسين المبارك المعنون (ثورة ١٩٢٠ واثرها في الشعر العراقي) . وقلنا ايضا انها قد تتناول دراسة شاعر معين مثل كتاب ـ لبيد ـ للدكتور يحي الجبوري . وقد تتناول فئة من الشعراء واثر دين معين فيهم مثل كتاب . (شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه) للدكتور يحي الجبوري ايضا .

ولعل من ابرز دراسات العراقيين التي تناولت الشعر كفن ، كتاب السيدة نازك الملائكة المعنون « قضايا الشعر المعاصر » وكتاب مصطفى جمال الدين «الايقاع في الشعر العربي من البيت الى التفعيلة» ومن هذه الدراسات ما تناول لغة الشعر وابرزها ـ لغة الشعر بين جيلين للدكتور ابراهيم السامرائي ولغة الشعر في القرن التاسع عشر للوائلي ولغة الشعر للدكتور جميل سعيد .

وقد حظي شعراء العراق في القرن العشرين باهتمام اكبر من الباحثين العراقيين ، ومن ابرز من نشرت عنه تآليف عديدة : الرصافي والزهاوي والكاظمي والسياب ، وقد كتب عن هؤلاء ادباء عراقيون وادباء من خارج العراق .

لكن بعض ادباء العراق تجاوز النظرة الاقليمية في دراساته الشعرية ، وصدر عن حس عربي وحدوي ، ينظر الى هذا الوطن العربي نظرة الى الجسد الواحد المتلاحم .

ومن هذه الزاوية يمكن ان نفهم الباعث الذي دفع جميل سعيد ونازك الملائكة وكاتب السطور للكتابة عن اثر النكبة في الشعر الفلسطيني وهو ذات الباعث الذي كان وراء كتابنا « شعراء اليمن المعاصرون » ودراستنا الموسعة عن الشعر والشعراء في تونس الخضراء .

بغداد　　　　هلال ناجي



الارز

يا ارز ، لبنان لي دار ، وانت اب   الى عروقك فيه شدني العصب
انت اللواء وانت الظل ، ايكما   لا يزدهيني اليه ، حين انتسب
هذي سماؤك لم تيبس نضارتها   على غصونك فيها تزهر الشهب
والشمس لولاك عين لم يرف لها   على البرية لا جفن ولا هدب
مكحولة بك ، قد لطفت نظرتها   الى الوجود ، وفيها الدمع واللهب

اعوادك الريح لولاها لما عرفت   في الارض كيف تغني، كيف تنتحب
كانت رسولك للدنيا فزاحمها   في نشر ذكرك مني الشعر والادب
حملت ما ليس عنك الريح تحمله   سل اي افق به لم تفتق الكتب
قيثارة الشعر في كفي اذا عزفت   الحانها نسيت اشجانها العرب
حج الغمام الى علياك ، حاملة   لك القرابين من اغوارها السحب
على سواك لها رجس وجعجعة   وفي ثراك تصلي حين تنسكب

اخا الزمرد في ابان نضرته   قلت من التبر لو صيغت لك الهضب
بها اليك طموح كي تقببها   لذاك يطمح عند الصائغ الذهب

في افقك النسر عصفور يصغره   منك الجلال ويزوي شخصه الرهب
يبقى لديك صغير القدر منكمشا   وعنك يعظم قدرا حين يغترب
كذاك اهلوك يخبو فيك لامعهم   ويطلعون شموسا اينما ذهبوا
لك الفتوح التي اعيى الحديد بها   على العباب وادنى شاوها الخشب
اعوادك السمر في الآفاق قد فتحت   ما ليس تفتحه الارماح والقضب

غض الشباب على شيخوخة صمدت   في الارض لا الوهن يحنيها ولا التعب
كان جذعك صلب الدهر منتصبا   منه تفرعت الاجيال والحقب
يا ارز ما انت لي وحدي تظللني   افتح ذراعيك للدنيا فانت اب

فارس سعد



الدكتور زكي المحاسني

زكي المحاسني نابغة من دمشق

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

***

حسب الادب السوري المعاصر ان يغدو الدكتور زكي المحاسني احد رواده النابهين الناهضين في جيلنا الحاضر القلق . ما انفك يواصل رحاله في كل مسار ومدار .. ما كف ارتياد شتى الافاق واستشراف التيارات والاتجاهات تطلبا لابعادها واصدائها .. التقاطا لانوارها وخطوطها .. وعيا لمفهوماتها ومضامينها .. بحثا عن جمالاتها وخصائصها ، تغريه بذلك كله نزعة مكينة تحتضن التالد والطارف ، روح مجنحة تؤثر التحليق والانطلاق ، وفكر مشبوب يستجلي الحياة : ما فيها ومن فيها ، ويستقطب المجتمع : ما له وما عليه .

من هنا ما في اعتزاز الادب العربي بسورية برجل تجلت فيه سمات النبوغ وذكاء القلب ونقاء المعدن كالمحاسني من دلالة ، حيث اوسع له واحله المحل الحري به ، انسانا واستاذا .. باحثا وشاعرا .. مفكرا ومحققا .

كفاه انه من نوابغ دمشق ، ومن بناة مجدها الادبي السامق الواغل في العراقة والاصالة ، على مدى طويل ناهز الاربعين سنة . ان التاريخ يعرف كيف ينصفه ، ويثمن رسالته التي اداها ، لقيادته قافلة الادب العربي رائدا طليعيا الى جانب عشرائه وزملائه ، يرتقي معهم سلم المجد ، ويدعم النهضة الجديدة ، وقد ازدهى به عمق الرؤية وشوق الفن وامانة الغاية .

ومن اجل هذا كله نفح المحاسني الخزانة العربية باثار بارزة هي الوان من الثقافة المعاصرة في مجالها ونحواها ، من فكر وشعر .. بحث ومقالة .. نقد وملحمة .. خاطرة وسانحة .

المحاسني في انتاجه يتفجر عن طاقات خلاقة ضخمة ، ترفدها الحياة بمآتيها ومعطياتها ، ويخصبها التمرس وتجربة الذات ، ويطلقها الزمن عبر سيره ودورانه ..

حيث يحاول مخلصا تصوير الماضي المندثر واحياءه بتجسيد مضمونه الانساني ، ليصله بالحاضر المائج بالثورة الفكرية .. بالتحول الاجتماعي .. بالتكالب المادي لبلوغ المطامح الجائلة في اغوار الوجدان العربي ، ايمانا منه بضرورة نفض غبار التخلف عنها ، واسقاط السلبيات ، وبمعانقة التجدد والتطور ، ثم ارهاصا بارضية ثابتة لغد اعم جودا وثراء واعظم بهجة وجدوى .. غد يحبو الينا بحكم ناموس الوجود . حتى انك لترى المحاسني في خلال مؤلفاته مؤكدا من جهة على اصالة العرب الحضارية ورفضهم التبعية والهزيمة الفكرية ، ومعبرا من جهة اخرى عن الشخصية الشرقية الاسلامية ذات المقومات الخاصة ، والمتميزة برصيدها الروحي والعقلي ، وايثارها لهما ، لانهما طالما رفدا حضارة الغرب وتمازجا معها قصد التأثير فيها والتأثر بها .

واحسب المحاسني مصيبا في قوله « واذا كان شعر الحرب في الادب العربي هو اقوى ما نظم الشعراء على ترادف الاحقاب لانه يتصل بالامة فيضم مجد ماضيها الى عزة حاضرها وهو وحده سجل فخرها وعنوان بأسها واناشيد بطولتها » .

يتعمد المحاسني هذا كله لاتخاذه اياه وسيلة استغلال وآلة دفع يحض بهما قومه تبصرة بهم وتذكرة لهم بان لا مندوحة عن الغذو في السير في هذا الدرب الطويل الشاق ، لتجديد الثقة بانفسهم وتوطيدها على تتالي الايام ، واعتماد العلم والعمل اساسا في التنظيم والابداع والتماس بواعث المجاراة للامم البالغة سموها الحضاري حفاظا على كنوزهم وذخائرهم وتحقيقا لما يخالجهم من الطموحات والامنيات ، وهي مقياس التشوف والاطلالة . معنى هذا ان المحاسني ديدنه اولا واخرا وحدة الهدف بعد وحدة الفكر . فقد قال « ان فكرة الادب للادب لا تدخل في اعمالي الادبية وان عديد الكتب التي الفتها حتى الان لا يقوم الا على الاخلاق وبناء الجيل العربي بالمثل العليا » .

مجال القول في المحاسني موسوعيا مثقفا يعاني تجربة الفن الشعري ويخوض مهامه الابحاث الجادة ويزاول مختلف ضروب التفكير والتعبير ذو سعة : يقتضي مني ومن غيري تفرغا وانكبابا ، لا املك من

اسبابهما ما يعينني على ذلك .. اذ تتعذر علي الاحاطة الكاملة باعمال المحاسني الادبية : واشباعها دراسة وتحليلا خشية ان يفقد النهج العلمي الذي لا احيد عنه عناصره اضافة الى كونها مجانفة لمهمة التركيز التي اتوخاها في كتاباتي .

الا ان هذا لا يحول دون الزعم بانني اوليت الجانب الالفت للانتباه في اعمال المحاسني الاهتمام الخاص الحقيق به .

فالتركيب الفني لشخصية المحاسني الادبية يمكن ان تتحدد في ثلاث نقاط ، تلك هي رسائله الجامعية ، دراساته للشخصيات الادبية ، مباحثه الفكرية العامة .

من الفضائل العلمية التي يتحلى بها المحاسني في رسائله الجامعية ، الزامه نفسه بقواعد صارمة من المنهجية في التاليف والتجرد في البحث والامانة في القصد والاشارة الى المصادر .

على ان اعتماده الاسلوب الموضوعي وركوبه المركب الخشن في رسائله ، وان كان عملا صعبا يتطلب المثابرة والجلد ، فانه لا يتهاون فيه ولا يتعاجز عنه ولا يستهين به . قال فيه شاعر الاهرام محمد عبد الغني حسن « وحين يسلك الدكتور زكي المحاسني المسالك الوعرة في التاليف يذهب مذهب الاعتدال والنزاهة في الاحكام فلا يجور او يبتسر الاحكام او يتابع في الاراء من غير تحقيق ولكنه يقرأ ويحقق ويوازن ويزن ويحكم بعد اقتناع واعتقاد » ..

ومن خلال رسائله هذه ذات الطابع الاكاديمي البحت يتجلى لنا مذهبه كباحث علمي ومحقق اصيل ، ويتضح حياده الفكري في معرض الاراء والاحكام المتعددة .. المضطربة ، كذلك تبرز قدرته الفنية في التمهيد والتبويب والتخريج .

انما يغربل الحقائق التي يلتقطها ويحلل الوقائع التي يتلمس خطوطها بامانة وادامة ثم يربط المقدمات بالنتائج بخيط دقيق لا يكاد يستبين ، مؤلفا بين اطراف المادة المبعثرة ، ومتدرجا من التفصيل الى التركيز ومن التركيب الى التحليل .

ولئن كان من المسلمات ان عبد الوهاب عزام علامة جليل في نهضتنا الفكرية الحديثة ، وهب حياته في سبيل البحث عن العلم في انصع مظهره وانبل غايته . وقصد الاصالة والامانة في ما الف وانتج ، ادركنا على الحال الى اي مدى تتبع خطاه تلميذه المحاسني على البعد والقرب مقتفيا اثره مغترفا من ينبوعه ثم معترفا باياديه عليه . اوليس هو القائل « وتتبعنا عزاما رائد الادب والبيان في مقالاته التي كان ينشرها في (الرسالة) و (الثقافة) كل اسبوع ، وكانه على البعاد من اساتذتي الذين علموني في دمشق وكان لهم فضل التوجيه في حياتي الادبية » . ثم اليس هو القائل ايضا « وحين التقيت بالدكتور عزام كنت كحافر الارض زمنا حتى بلغ الى مواقع الكنز فيها » ...

ومن هنا جاءت رسالته « شعر الحرب في ادب العرب » ـ وقد نال بها درجة الدكتوراه ـ منطوية على عناصر الريادة والاصالة والجدة ، لان المحدثين لم يطرقوا هذا الموضوع ـ على حد قوله ـ من قبل . وفي التقدمة القيمة التي كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام لهذه الاطروحة قال « وقد عكف فيها ـ اي المحاسني ـ عكوف الباحث المخلص المتثبت . الذي لا يقنع بما دون الغاية ولا يسكن الى الدعة ولا ينوء به التعب والداب .. » .

اما المحاسني نفسه فيقول « وقد اتخذت لبحثي النهج العلمي في التبويب والتفصيل والترقيم معتمدا على التحليل والتركيب حينا والمقارنة والنقد حينا اخر لاستكشاف الظواهر الادبية الحماسية وربطها ـ اذا دعا الامر ـ باسباب السياسة والتاريخ » .

والمحاسني مجدد على مستوى الادب الصحيح ...

ان في قيامه بدراسة بعض الشخصيات الشهيرة في تاريخ الادب كابي العلاء المعري وابي الطيب المتنبي وابي نواس من القدامى ، وكاحمد امين وعبد الوهاب عزام وابراهيم طوقان ومن اليهم من المحدثين معنى من معاني الوفاء الانساني ودلالة من دلالات تخليد الثقافة العربية في افاقها واعماقها .. عظمتها ومثاليتها ، لا لشيء الا لان هاتيك الشخصيات افنت ذواتها وجندت قواها العقلية والشعورية من اجل تعميق القيم الحياتية والمبادىء الاجتماعية والحضارية ، التي امنت بها الذات العربية واستمدت منها روح يقظتها ومفتاح شخصيتها ومهماز بقائها على العصور والاجيال .. كذلك سخرت امكاناتها وملكاتها في سبيل تطوير الاساليب الادبية والمقاييس الفنية لتعمل تاثيرا وتوغلا في مجرى الاذهان ومسارب الاحاسيس ولتبقى قاعدة عريضة يلتقي على صعيدها القديم والجديد .. الماضي والحاضر .

وكيف لا يعير المحاسني اهمية بشاعر كالمتنبي ، وهو كما يقال ابو المعاني ، وهو ايضا اعظم شاعر في سمو الفكر وقوة الشعور ، انجبته الامة العربية في جميع عصورها الادبية المتطاولة ..؟

دع كل صوت غير صوتي فانني   انا الطائر المحكي والاخر الصدى

واما ابو العلاء الذي تناوله المحاسني في اطروحته التي نال بها درجة الماجستير فحسبه انه الرائد الذي ادخل الفلسفة في الشعر العربي باقرار من تاريخ الادب ، والذي نقد المجتمع في افكاره واشعاره ذلك النقد الرائع العميق اجهاضا لترهاته وسقطاته وايجادا لمناخ الحق والعدل فيه ثم انهاضا بافراده المنتمين الى الجماعة الانسانية . لذا يقول المحاسني « كذلك احببت ابا العلاء على ريق الشباب فاخذت بكتبه مدارسة وممارسة وخطوت الشباب فاذا انا بضفاف النيل اكتب عن

شاعري . ولئن سبقني الكتاب على كثرتهم في التصنيف عنه لداعية الف عام مرت على مولده او لسوانح تسنح لهم في ادب هذا العبقري الشآمي الذي خلد على الزمان فما واحد منهم وقف كتابا علي نقده للمجتمع . وهل كان ابو العلاء الا ناقد المجتمع في كل شعره وعميم نثره .. ».

ومن الذي يتجاهل ابا نواس : داعية الثورة على الاطلال الدارسة وداعية الحياة في تطلعاتها ، وفيه يقول المحاسني « لقد كان هذا الكتاب من بواكر اعمالي الادبية منذ ثلاثين عاما يوم لم يكن احد من المعاصرين قد تقدم بدراسة جامعية ومنهجية لشعر ابي نواس وادبه » .

والمحاسني كاديب ملتزم داخليا متصف بدقة الحس ويقظة الوجدان لا بد ان يتجاوب مع الاحوال المحفوفة بذاته .. بمجتمعه .. بامته ، ويتاثر بمن يشاطره مشاعر الوفاء والاخاء ويسقيه كؤوس العلم والمعرفة .

ومن هنا كان كتابه « طوقان : شاعر فلسطين » وليد تفاعله من الاحداث المفجعة التي رافقت قضية العرب الاولى . فقد قال « واذا كان شعر طوقان قد ارتبط بقضية بلاده قبل النكبة وبعدها وعبر فيه عما لابسها قبل احتدامها فقد رايته جديرا بالدراسة والتمحيص » .

بينما كتاباه « احمد امين » و « عبد الوهاب عزام » عصارة زمالة فكرية وتلمذة او صداقة روحية استغرقتا شطرا من عمره واستوعبتا بالنسبة اليه وجوده الذاتي والفكري .. وقد صور هاتين الشخصيتين الرائدتين بلمساتهما تصويرا واقعيا وعبر عن مبلغ تعلقه بهما تعبيرا امينا . مثلا يذكر عن احمد امين « اما احمد امين فقد رايت صورته في كتابه (حياتي) كما رايته في العيان والممارسة ولم اجد الشخص الذي في الوجود مخالفا للشخص الذي صور نفسه على الورق بل لمست فيه تواضع العلماء والبعد عن التبجح والغرور » .

دراسات المحاسني للشخصيات تتراوح بين الطريقة الكلاسيكية البحتة وبين الطريقة التحليلية المعاصرة .. اذا كان كتاباه « المتنبي » و « طوقان : شاعر فلسطين » يخضعان لاسس الطريقة الكلاسيكية ، فان كتابيه « احمد امين » و « عبد الوهاب عزام » يختلفان عنهما من حيث التعليل والتفصيل .. الاستقراء والاستنتاج ، ثم يحويان شيئا غير ضئيل من عناصر الخلق والصدق . ولعل لعلاقة المحاسني الوطيدة بالرجلين دخلا كبيرا في ذلك كله .. لننظر ماذا يقول المحاسني بهذا الصدد « وهكذا كنت اقرا (احمد امين) فاتخيله في شكله وسمته واستخرج صورا حية من عاداته وصفاته من طول التنقيب في كتبه ومقالاته قبل ان اعرفه من قريب وتجمعني اليه مودة فكرية وتبعات حكومية » .

اما كتاباه الاخران « ابو نواس» و « ابو العلاء ناقد المجتمع » . فتتمثل فيهما الطريقة المعاصرة بالرغم من كون الاول صادرا في اواخر الثلاثينات ، ولكنه دليل ساطع على ملكة المؤلف الفذة في البحث والمقارنة والدراسة ، وبالرغم من كون الثاني صادرا في منتصف الاربعينات . لقد اصاب الدكتور فوزي عطوي كبد الحقيقة حين عرج على المحاسني ذاكرا « وقد انعكس في الكتاب – يريد كتاب ابي نواس – اثر الثقافة العالية التي يتمتع بها الدكتور زكي المحاسني وذلك من خلال الدراسات المقارنة التي اجراها ولو بصورة عاجلة » ..

وللمباحث الفكرية قدر كاف في آثار المحاسني ...

استهل بها اهتماماته الادبية الاولى معالجا اياها بحصافة العالم وحساسية الاديب وذوق الفنان ، تحديدا لملامح الادب المعاصر وتطوراته واصدائه وتسمية لقادته من شعراء وادباء ممن شيدوا صرحه الشامخ .. القائم ابد الدهر .

ففي كتاب « نظرات في ادبنا المعاصر » يرصد المحاسني لنهضة الادب الحديث : ما واكبها . ما اشتجر حولها .. ما تجدد فيها .. ذلك من خلال الظروف الموضوعية للاقطار العربية التي بلورت هذا الادب واكسبته مقوماته الخاصة واسفرت عن القيم الجديدة المتاثرة بالمثل الحضارية ، ومدى قدرة هذا الادبالتفاعل مع الاحداث واستيعاب قضايا الانسان العربي في جميع البلدان والاعراب عنها بطلاقة واخلاص .

على ان الشيء الحري بالانتباه ان المحاسني وان كان مؤمنا في قرارة نفسه بالادب العربي بسبب خصائصه الذاتية والانسانية ، فانه يرى انه غير جدير بالارتقاء الى المستوى العالمي او القياس به لافتقاره الى مياسم العالمية في الاصالة والعمق والجدة والتاثير .. انه ليقول « ان الحقيقة التي هي بغية كل باحث تقول : ليس ما لدينا من اثار ادبائنا شيوخا ومحدثين الا القليل الضئيل مما نستطيع ان نقدمه الى جنب الادب العالمي » .

ليس هذا بمانعه من الاعتراف بانه كان لنا ادب عالمي .. ولكن اين هو الان ؟ بل اين نحن منه ..؟ ولم لم نصله بالحاضر الراهن ..؟ لقد تخلفنا وتخاذلنا .. وغيرنا ما بانفسنا ، مستمرئين نشوة الخمول والخدر ، حتى غدونا حيث نحن اليوم ...

« لقد كان لنا ادب عالمي في العصر العباسي والاندلسي وكان لدينا افذاذ فيه عالميون وحين نذكر الجاحظ وابا الطيب المتنبي وابا العلاء المعري نعتز بهم في كل عصر ... » .

مع هذا كله فالمحاسني لا يكفر بالضمير العربي ولا يفقد امله معتقدا ان بالامكان اللحاق بالركب العالمي في ميدان الادب والفكر اذا عرفنا كيف نقتحم افاقه ، ونطبع ذواتنا بطوابع العصر وتحولاته .. الحضارة ومبدعاتها .. الواقع ومتطلباته – ثم اذا عرفنا كيف نصور تجاربنا وما

تعانيه نفوسنا .. وعبرنا عن اصالتنا الانسانية وتراثنا الحضاري بالارتفاع الى ذروة الفن الحقيقي والفكر الواقعي ليتميز ادبنا العربي المعاصر بالعالمية في المعنى والمبنى .

والمحاسني متبتل ، يصوغ الحياة الادبية بكل مناحيها واهوائها على اساس من الدين ، متمثل في القرآن الكريم والحديث . انه يدعو الناس الى الالتزام بالقيم الاسلامية التي اخرجت البشرية التائهة من ظلام الجهالة الى نور الهدى والرشاد .

اذ يرى ان الادب لا يمكن ان يحيا الا في ظلال الدين ، وان اداب الامم الاخرى مصدرها العبادة فيقول « لا يعيش الادب منضوح البيان بالسحر الحلال وفصل الخطاب الا في حمى الدين ولقد عرفت الامم القدامى في حياة الشعر والفن تراتيل العبادة في طقوس الدين .. ».

صحيح ذلك ما دام الادب هو النتيجة الطبيعية لدراسة الدين وكشف خصائصه وحقائقه بعد النفوذ الى اغواره وجذوره وترك ما لا صلة له . يتجلى هذا كله في كتابه « الادب الديني » ، الذي ينتظم دراسات ادبية في منتهى الروعة والتوافق الفكري لا لشيء الا لانه اعتمد القرآن الكريم ـ كما نوهت ـ والحديث اساسا في طريقة تناوله الموضوعات الكونية والوجودية ، والقضايا الفردية والبشرية في الجاهلية والمعاصرة علاوة على المذاهب الاخلاقية والادبية في ضوء التطورات الحديثة ، الى جانب قصص بعض الشخصيات الإسلامية التي غيرت وجه التاريخ وارهصت بظهورها بمفهومات لا قبل للمجتمع العربي بها ... ومن مطاوي الكتاب : التجسيم النفسي في القرآن الكريم . الوجودية المذهبية في القلق . من آثار القرآن في الاداب العالمية . شعر الجهاد في ادب الاسلام. الفلسفة الاسلامية عند ابن تيمية . الرسول يصنع وحدة العربة . وفي هذا الاخير يقول « ولا شيء يؤلف بين القلوب كالسلاح بين المجاهدين ، فان اجناد الرسول وقواده كانوا كتلة واحدة كانهم البنيان المرصوص فخرجت هذه القبائل من معركة بدر تجرر اذيال النصر وتخفق فوق رؤوسها رايات العزة بظفر الرسول وصحبه. وقد تركت هذه المعركة في ادب العرب القديم شعرا كثيرا قيل في الفخر والرثاء ، ما زال الى اليوم يهيج كامن العظمة في العروبة على الزمان .. » .

ثمة شيء ...

وفي اخر المطاف ينبغي ان نقف على ما هو واقع نشدانا للحقيقة العلمية التي عمل المحاسني من اجلها ولاجلها ..

ان المحاسني وان تمسك بنظرية « تين » في البحث والنقد ، وهي التي تعنى بدراسة بيئة الكاتب او الشاعر وظروفه الموضوعية ، وتحليل العوامل المؤثرة في تكوينه وثقافته ، فانه كمجدد يؤمن بمبدأ التطور والانفتاح على العالم ، لا يغلق ابواب المباحث العلمية التي يعالجها بل يفتحها على مصاريعها ، ليلجها من يشاء من بعده وبما يشاء . ومن طبيعة الاشياء ان يظل باب العلم مفتوحا .. هذا هو الصحيح .

تكتنف اسلوب المحاسني بوجه عام استطرادات . ولعله بهذه الظاهرة التي شملت حتى رسائله الخاصة متأثر بالجاحظ .. الرائد الذي اختص بهذه الخصيصة الفنية الفريدة . ثم هو ـ اعني المحاسني ـ في طريقة معالجته الموضوعات يستعير من القديم ثوبه ومن الحديث روحه ، عملا بقاعدة الجمع بين الاول لاصالته وفخامته وبين الثاني لطرافته وجدته .

وبسبب من سعة ثقافة المحاسني وتنوع روافدها يتولى مهمة الموازنة بين الكتاب والشعراء الشرقيين العرب ، وبين الكتاب والشعراء الغربيين الذين رافقهم في رحلة الفكر وذلك من خلال تفسيره لبعض الظواهر الادبية المعينة ؛ تعزيزا لارائه وافكاره ، وافصاحا عن غزارة علمه وتناهي افقه ، كما فعل حين وازن بين مالتوس وابي العلاء (١) المعري ، وبين رامبو وابي نواس (٢) ، وبين فكتور هيجو واحمد شوقي (٣) .. وهكذا ..

والبعد الذاتي يترامى امامنا واضحا كلما توغلنا في دراسات المحاسني . حيث يدخل طرفا في الموضوع ، فيبدأ يتحدث عن ذاته في مساق الكلام ، بصورة تلقائية ، حديثا مستطابا ؛ محاولا ان يربط بينه وبين اسباب الموضوع الذي يتناوله بعامل فني .

تفسيري لهذا كله هو اندماجه في ما يعالج اندماج المستغرق ، ليضفي على ذلك بعدا ذاتيا . والاديب الصادق يعبر عبر سطوره ومؤلفاته عن تجاربه ومعاناته بعفوية لحمتها الاصالة وسداها الاخلاص .

الاعظمية ـ بغداد وحيد الدين بهاء الدين

---

(١) انظر « ابو العلاء ناقد المجتمع »، (٢) انظر « النواسي شاعر من عبقر » ، (٣) انظر « نظرات في ادبنا المعاصر » .

شقراء

شقراء يا حبيبتي يا نغما على فمي
يا حلما أشرق في عيني مثل الانجم
يا أملي الحلو ويا مصباح ليلي المظلم
يا واحة خضراء في صحراء عمري المعدم
ويا عبيرا ليت يرويني فما زلت ظمي
لولاك ما كتبت للحب وما غنى فمي
لم أدر ما الحب وما معنى الهوى لم اعلم
اني قرأت الحب في عينيك فهو ملهمي

كربلاء ـ العراق كاظم ناصر السعدي



بقلم فاروق جاويش

كانت خطواته العسكرية التي تدب فوق الارض واقدامه التي ينتزعها بصعوبة من فوق الرمال ثم قامته الطويلة وصوته النشاز الذي لعلع باغنية محلية .

يا بنات البحر الاحمر
يا ام السنه اولي والشعر الاحمر
ويداه كمايسترو عريق وبين

الفينة والفينة يتلفت نحو الخلف مما جعلها تختفي داخل القارب وهي تكتم ضحكاتها ... برزت راسها الى أعلى وارتسمت كل علامات الزعر فوق قسمات وجهها الذي لوحته الشمس ثم بللت شفتيها بطرف لسانها وصرخت محذرة :

– بوليس حربي ... بوليس حربي يا فتحي .

وخرجت قرقعة من داخل جوفه وهو يضحك صارخا .

– قديمة معي تصريح الاجازة .

نهضت بكامل قامتها واهتز القارب قليلاً وهو يدلف داخله مدت يدها نحوه وتوقف قليلا وهو يصعر خده وقد بدا فكه ملتويا ويده تعبث بقطع نقود فضية كثيرة داخل جيبه ثم تحدث فجاة بلغة انجليزية ركيكة مقلدا احد السائحين .

– اريد ان اشاهد سمك القرش .

اشاحت بوجهها ثم امسكت بالمجدافين وهي تمط شفتيها كان اللعبة التي سيقومان بتمثيلها لا تروق لها ... لكنها هزت كتفها وردت مصححة .

– السائح يا فتحي لا يحب مشاهدة سمك القرش ... قل شيئا غير ذلك وانا اتحدث معك .

وعاد وهو يصرخ في عناد وقد احمر وجهه .

– بليز .. آي .. ونت .. تو .. س .. ذا تشارك .. اريد ان اشاهد القرش .

نظرت نحوه في غيظ وحولت المجداف وادارت الدفة ومطت شفتيها في غيظ .

– فيف بوندز ... خمسة جنيهات .

صرخ وهو يعود الى طبيعته .

– خمسة جنيهات ... انا يا زينب لا املك سوى راتبي .

هزت راسها وشبح ابتسامة آسفة فوق شفتيها وهي تسترجع ذكرى ماضيه .

– كنت اضحك عليهم جميعا .. لكن كانوا يحبونني .. كنت اعرف ان الامريكان اغبياء اذا قلت لهم ان الصدفة الصغيرة بخمسة قروش يرفضون شراءها لتفاهة الثمن واذا قلت انها تساوي ربع الجنيه ياخذونها على الفور ... مجانين حتى فندق عروس البحر اغلق ابوابه خرب الله بيوتهم الفرنسيين احسن منهم .

رد وهو ينظر الى صفحة المياه الزرقاء الصافية وهدوء سرمدي يلف الكون وفندق عروس البحر والجبال المسنونة هاماتها كحراب هرقلية يبدو كقصر مهجور .

– غدا سننتصر ويعود كل شيء الى طبيعته .

مرت فترة صمت طويلة راح يتطلع فيها الى قسمات وجهها الذي لوحته الشمس ثم نهض من فوق مؤخرة القارب ليجلس بجوارها امسك بالمجدافين ونهضت



هي لتعد الشباك وهي تتمتم ...

– منذ الحرب وابي يعلمني الصيد ... كنت أصنع من الاصداف عقودا تماما كاللؤلؤ .

تابعت كلماتها وهي تقفز نحو صندوق اخرجت منه عقدا من الاصداف الصغيرة وضعته فوق رقبتها ثم خطت لتجلس بجواره « هذا العقد هدية مني لوالدتك .. احبها تماما كامي منذ حكيت لي عنها في المرة الماضية » .

رد وهو يلف زراعه حول كتفها بحنان .

– ستفرح كثيراً .

اضاف وهو يحدق بكل عينيه خلال قسمات وجهها الذي لوحته الشمس .

– وستفرح اكثر عندما آخذك لها .

ردت وهي تتظاهر بالسذاجه وهي تحوطه بكل ذراعيها .

– لماذا تاخذني لها .. ؟؟

اجاب وهو يمط شفتيه بخفة كانه غاضب .

– ستشاركيننا حياتنا .

تركت راسها فوق صدره وامسك بيدها بينما تسللت كلماتها هامسة وهي تمط شفتيها .

– ربما ابي لا يوافق .. امي ايضا لن تتركني ... لقد عشقنا البحر والجبل ... عشقنا الغردقة .

ورد وصدره يعلو ويهبط ويده تضغط فوق يدها بشدة .

– زينب ... ساعيش معكم .. هنا ... في الغردقة .

حدقت فيه بكل عينيها السوداوين وارتسمت ابتسامة فوق شفتيها ثم أدارت ظهرها نحوه وهزت كتفها .

– انت لا تجيد الصيد مثل والدي .

لمعت عيونه ونفخ منخاريه ثم صرخ كقبطان لسفينة قراصنة تجتاحها العاصفة .

– امسكي بالدفة ... هيا ..

نحو اليمين ... سنبتعد عن التيار .. وهبت مذعورة لتمسك بالدفة وبداه تعملان بسرعة في اسقاط الخيوط التي ثبت فيها الطعم .

قالت مترددة :

ـ هنا اسماك القرش ... اصمت .

قال وهو يزغر لها بعينه .

ـ لا يهم .

ـ فتحي انا خائفة .

رد وهو يضغط فوق ناجذيه .

ـ لا تخافي يا زينب ... هاتي الجربة واعدي الخنجر .

ردت باكية :

ـ ها هما يا فتحي .

ـ اديري الدفة جهة اليسار وربما اطوي الشراع .

صرخت في يأس :

ـ قلت لك اسماك القرش تمرح هنا كثيرا .

همس كانه خبير بالبحر كصياد عجوز ممتلأ بالحكمة .

ـ اسمعي يا بنتي البحر واسع ... واسع فيه متسع للجميع فقط علينا ان نزيل الاسماك الضارة .

ـ اعددت لك طبقا من الصيادية .

صرخ بصوته الاجش وعيونه تلمع في شراسة القرش .

ـ كل يوم صيادية كل يوم صيادية لقد زهقت ...

ضربت كفا على كف وهي تعود محدقة في وجهه في مزيج من الدهشة والإعجاب ثم زغردت ضحكاتها .

ـ تماما ... تماما مثل والدي عندما يتشاجر مع أمي .

قبلها فوق جبينها ثم همس :

ـ معي رداء البحر .

ـ هيا نسبح ... ساجعلك ترى قصور المرجان تحت الماء انها مملكتي التي اتجول فيها دائما ... ستعيش معي تحت الماء . ابتسم وعيونه تلمع ثم غاضت بابتسامته وقد عادت ملامح الخوف تكسو وجهه .

ـ يا عروس البحر .. لا استطيع الهبوط ... أمي .. ابي ... اخوتي .

ـ الا يكفيك حبي .. ساجعلك تزور اهلك وعشيرتك مرة كل عام محملا بالاصداف والمحار . ضغط فوق ناجذيه حتى يقاوم ضحكاته ثم رد وهو يبلل شفتيه في تفكير .

ـ اعطني مهلة لافكر .

دقت ارض القارب الخشبية بقبضتها في اصرار .

ـ فورا ... الآن .

واخذه الذعر حتى خلع ملابسه .. مدت يدها نحوه ثم جذبته بعنف نحوها ممسكة بتلابيبه وهو يحاول ان يفلت من بين ذراعيها .

وترنح القارب وسقطا في اليم وصوته يجار طالبا الرحمة .

برز راسه وهو يزفر المياه من فمه مقلدا الحوت ويداه تضربان المياه بعنف وهي من خلفه وعندما وصل الى الشاطىء جرى تحت مظلة من المظلات المصنوعة من « البامبو » والتي تملأ شاطىء الغردقة الطويل ثم جثى فوق ركبتيه واقبلت هي راسها الى اعلى في كبرياء الملكات ثم صرخت :

ـ من اين اتيت ... ؟؟

ـ من الصعيد .

ـ تعرف انني عروس البحر .

ـ ابدا .

عادت تصرخ وهي تدق الارض بقدمها العارية .

ـ ما هو عملك .

ـ جندي مؤهلات بجزيرة شدوان .

ـ كاذب .

ـ ماذا اذا .

ـ انسان .

ـ انت شيطانة .

ضربته براحة يدها وقفز هو مكبلا ذراعيها بكل قواه ثم تمتم من بين شفتيه :

ـ نتزوج ... الآن .

ـ ستاكل صيادية .

قبلها فوق شفتيها ثم صرخ :

ـ الصيادية جميلة .

عادا يسحبان نحو القارب ويداه تعملان في جذب الشباك .

كانت اسماك الشعور تقفز بعنف محاولة التخلص من الشباك وصرخ وهو مفكرا :

ـ سانجب اطفالا مثل هذا العدد .. !!!

قرصته ثم همست في غيظ :

ـ لن ادعك تلمسني بعد الآن .

عادا بالقارب نحو الشاطىء .. ثم وضعت بساطا فوق الارض واعدت الطعام وتربع هو فوق الارض وهو يفرك يداه الممتلئتان برائحة السمك .

ـ هيا ناكل .

ـ ......

اشاحت بوجهها ... هبطت دمعة ترقرقت من جفنيها .

اقترب وهو يزحف نحوها .. لكنها نهضت بكل قوتها اطلقت لساقيها العنان كنزال مذعور .

الصمت يلف كل شيء .. الجبال كرجال صنادبد وهي تلفت في كل موضع .. اختارت كهفا وراحت تتسلق وهو يصيح من خلفها وهي ماضية في طريقها نحو الكهف باصرار ... مرقت نحو الداخل وسرعان ما كان يمرق من خلفها .. برز راسه من فوهة الكهف ... حدق في الكون وفي السماء الزرقاء والبحر الهادىء وفوقه القارب الصغير يتارجح ثم جزيرة شدوان من بعد والجنود يتحركون في كل موضع داخلها كعادتهم .. قطب ما بين حاجبيه تحس التصريح داخل جيبه ثم ابتسم هو ينلق فوقه الكهف بكل ذراعيه .

★

تنهد فتحي بحيرة ثم صرخ في زميله .

ـ ازحف ... احفر لنا مياه ..

رد زميله وهو يتنهد والظلمة تلف الكون عدا ومضات القنابل من كل لون ككرنفال جهنمي .

ـ اخشى ان اتحرك .. الرصاص من كل ـ ناحية .

بلل فتحي شفتيه بطرف لسانه ... منذ البارحة وهم يقاومون العدو من اعلى ومن اليمين واليسار والذخيرة تكاد تنفذ والرجال يقاومون طوال ليلة كاملة ... عاد يهمس لزميله .

ـ ازحف زحفة القردة ... تعلمناها في منقباد ..

ـ علمها لي الخبير بطريقة اسرع .

ـ ازحف هيا ... لكن قف .. ارى اشباح تتحرك تجاهنا .

انطلق المدفعان وتنهد فتحي في ارتياح وهو يزدرد لعابه ... نظر نحو زميله وتجمدت دماؤه كان زميله يصرخ من ذراعه ... أشاح بوجهه في أسف ... لكنه ما لبث ان اطلق دفعة كاملة من مدفعه ثم انبطح فوق الارض ... حدق في الظلمة الداكنة حاول ان يتبين رفاقه لكن عبثا ... صرخ من اعماقه .

ـ النجدة ... النجدة ...

ورد صوت كالصدى ...

ـ قاوم حتى النهاية ... تصرف ..

عاد يصرخ .

ـ اين اضرب .. ؟؟

ورد الصوت كانه يخرج من هوة سحيقة .

ـ تجاه الشرق ..

القى مدفعه جانبا .. اتجه نحو المدفع الكبير وهو يحمل جثة من اسفله .. اعد قذيفة ثم عدل من اتجاه المدفع وهو يضعه فوق نتوء بارز وانطلقت القذيفة وانبطح هو لكن عاد يجري بكل قوته .. التقط مدفعا من فوق الارض ثم استدار وهو يجثو فوق ركبتيه مطلقا دفعة رصاص كاملة . من فوهة مدفعه وتساقطت امامه ... قامات ضئيلة مذعورة يعرفها جيدا ... اجساد اليهود الملتوية .. تنهد وهو يسمع صرخة الم من احد الجنود الذين امسهم العطش .. عاد يفكر .. يشحذ قريحته .. ثم صرخ ...

ـ يا رفاق .. هيا نزحف نحو الشاطىء .

لكن الطلقات المعادية عادت تئز فوق الدشم .. يا رب النجدة تمتم من بين شفتيه المشقوقتين من اثر العطش ... تذكر زينب بنت الصياد ... لقد تزوجها اول امس من ينقذ زوجته الآن ... لماذا تزوج .. هبطت دمعة فوق جبينه ويده تحتضن مدفعه بعنف ... عاد يتلفت نحو الشاطىء المظلم ... كيف انعزل هكذا في هذه البقعة ؟؟. انه قائد نفسه الآن وعليه ان يتصرف لقد ادى واجبه في اعجاز تذكر زميله الذي تالم من العطش تصلبت يده فوق المدفع وتمتم بالفاتحة ... عاد طيف زوجته يلح على ذاكرته ... ستنهض ... سيسير بحذاء الشاطىء ... سيصرخ بكل صوته نحو الجانب المواجه ... فنزلها امام الشاطىء ولا ريب انها تقف الان .

هبت نسمة من الهواء مشبعة برائحة البحر والبارود وصيحات ريبة كهمهمة وحوش ضارية كانها داخل اقفاص متيشة كانت الامواج ترتفع بعنف دونما عاصفة ... لقد كانت اسماك القرش في معركة ضارية حول جثث الاعداء الطافية ... اشاح بوجهه ... لكن سرعان ما تلفت ... تبين صوت مجاديف ... تصدم بالمياه بخفة ... تهللت اساريره هي .. هي .. ولا ريب ... صرخ :

ـ زينب .

ومضت قذيفة استطلاعية ورصاصات من كل جانب وبدا القارب كانه يترنح لكنه تبين جسدها تماما وهي تنحني نحو الامام ممسكة بالمجدافين ... الامواج تدفع القارب نحو الشاطىء ببطء سلحفاة ... قلبه يدق ... لماذا حضرت ... ؟ كيف ان ما يدور داخل تلافيف مخه يوافق ما تفكر هي فيه ... هبطت دموعه ... ازالها بظهر يده المتلئة بالسحجات وخرج صوته المتحشرج في النهاية .

ـ لماذا حضرت ... عودي ..

والقارب يقترب نحو النهاية .. خطى باقدامه في المياه ... جذب مقدمته وعاد يهمس :

ـ زينب .

ردت ببطء وهي تلهث :

ـ احضرت ... مياه ... طعام ... صيادية .

ـ قفي قليلا ثم اقفزي ..

ظهرت اسنانها ناصعة البياض في الظلمة الداكنة كانها تضحك بملء شفتيها مدت ذراعيها كانها تريد ان تضمه غير انها هوت في قاع القارب الذي اخذ يتارجح بعنف كانت الدماء تشحب بغزارة من ذراعها وصدرها ... يدها باردة كقطعة ثلج عيونها شاخصة نحو السماء .. قبلها بكل شفتيه .. أراح الذراعين امام صدرها ... ثم خلع سترته العسكرية ... لف الجسد جيدا ثم احاطه بكومة الشباك تمتم بالفاتحة وغرد طائر نورس كانه يولول تصلب جسده وهو يؤدي التحية العسكرية ... انحنى نحو الامام حمل برميل المياه والطعام بعد ان ربط القارب جيدا بالشاطىء تقدم نحو الخنادق ... تذكر انه عطشان ... ارتعشت شفتاه ثم اشاح بوجهه.. التقط المدفع اختبره جيدا ثم اطمئن على قنابله داخل جرابه .. المدفع في يد والقنبلة في اليد الاخرى وعندما بدا التحرك ... كانت السماء قد امتلات بطائرات يعرفها جيدا ... طائرات الميج .. بينما علت مدافع البارجة المصرية قرب الشاطىء ... جلس فوق الارض ... اسند ظهره نحو نتوء بارز .. حاول ان يشد ابتسامة فوق شفتيه ... او ان يرفع جفون عينيه المتلئة بالنعاس ... خدر لذيذ ... لذيذ ينبعث من داخل افئدته وطيفها ابيض ... ابيض ... كقطعة من نور يلوح له ... وتحركت شفتاه ...

ـ ا ... نتظريني ... هه ... لن اتغيب كثيرا ...

القاهرة — فاروق جاويش

مسحر رمضان

سله الليل صارما مـن قـراب   وجـلاه كثاقب مـن حجـاب
ينهب الارض ضاربا في غمـار   مـن ظلام ، غمـاره كعبـاب
وقتام الدجـى بكـل فجـاج   يترامى كعارض مـن سحـاب
رفـع الليـل في الفضاء قبابـا   مـن ظلام تزري بكـل قبـاب
مـن رآها لم يـال يمعن فيهـا   في ذهـول بخشيـة المرتـاب
مردت كالرجيم مـا شك ريب   واستقامت مـن غيرما اطنـاب
والسكون العميق في كـل افـق   مدلهم ارخـى جنـاح غـراب
رتعت دونـه الوساوس جذلـى   بامـان وراء الـف نقـاب

راح يجـري في شاسع وينـادي   في شعاب الديار أهـل الشعاب
يقـرع الطبـل للنيـام ليصحوا   مـن رقـاد مستحكم بالرقـاب
ويطيـل النـداء دون مـلال   ويعيـد الدعـاء في اسهـاب
ذكـر اللـه داعيـا ومنيبـا   بنـداء يفـوح بالاطيـاب
ولقـرع الدفوف بين يديـه   من سلاف الذكرى رحيق عتاب
نغمات في مسمع الليـل رنـت   تؤذن الليل مـا علت بانسحاب
ارهف الفيء سمعـه لصداهـا   بحنين ومـاس عـن اعجـاب
وبنـات الظـلام يرتعن زهـوا   ثمـلات بريـق مـن شبـاب

ما لذاك المسكين والليـل القى   بجـران يفـذ غـذ عقـاب
لبس الليـل متزرا وترامـى   في غمـار يرود كـل صعـاب
لا يني يطرق الفجاج بعزم   كمريـد مستهدفـا كـل بـاب
مـن رآه يخال طيفـا بليـل   شال يسري في عاصف صخـاب
او مشوق اضواه لاعـج وجـد   مـن حنين لفرقـة الاصحـاب
فانـى يسال الديـار بلحـن   من دمـوع ولـم يفـز بجـواب
يسلـخ الليـل بالعذاب وحيـدا   غير شاك لسانـه مـن عـذاب
ولسوط الريـاح في وجنتيـه   ما لوخز السقام مـن اوصاب

هب اهـل الديار شبـه نشاوى   يمسحون الرقاد عـن اهـداب
ايقظتهـم رغائـب تتنـزى   كشـواظ للقمـة وشـراب
وثبـوا مسرعين غـير كسالـى   ينشدون الطعـام مثـل ذئـاب
شهوات في الصدر تجار سكرى   وتحـز الصدور حـز حـراب
شره في النفوس مـا انفك يفري   مثـل وحش بمخلب ونـاب

عاد كالنسر بعـد لاي وحيـدا   ويـداه صفر مـن الاسلاب
طاف ما طاف ضاربا دون جدوى   بفجـاج ولـم يفـز بثـواب
ولرجـع النـداء في كـل افـق   مـن صداه رنين جهش انتحاب

دمشق   عدنان مردم بك



الدكتور محمد رجب البيومي

عيسى العوام وسلمى البكرية

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

***

كان المطر يتساقط على صفحة النهر في سكون الليل ، وقوارب الصيد تتارجح ذات اليمين وذات الشمال في هبات الرياح المتلاحقة ، والبرد يرعش جسوم الصيادين فترتعد فرائصهم دون هدوء ، ولكنهم لا ينقطعون عن تجديفهم المتواصل سعيا وراء الرزق ، فهذا ينصب فخاخه ، وذاك يجمع ما وقع من شباكه ، حتى اذا اذن الفجر وبدات لوامع النور تفسح لها طريقا في حندس الظلام تسلل كل صياد الى بيته القريب من الشاطىء ، راضيا بما ساقه الله اليه من الخير ، قليلا او كثيرا .

ورجع عيسى العوام فيمن رجع الى كوخه الصغير، ونادى روجته سلمى البكرية ، لتاخذ عنه ما حمل فتدور به اذا اشرق الصبح على منازل الحي كعادتها بائعة جائلة، ولكنه لم يسمع لها صوتا يجيب ، وقد بحث عنها في كل ناحية ، فلم يقف لها على اثر ، واذ ذاك جلس منهوكا مرهقا ، يفكر فيما دار بينه وبينها بالامس ، فقد هددته بالرحيل عن الكوخ لتلحق بجيش صلاح الدين الرابض حول بيت المقدس ، فتقوم بما يقوم به مثيلاتها من النساء فتعد الطعام ، وتحمل المؤن ، وتدور على العطاش بالماء ، وعلى الجرحى بالدواء ، وكانت تلق زوجها بقوارص اللوم ، وتدعوه الى ان يلحق بالجيش الظافر ، فيؤدي واجب الرجولة والعروبة والاسلام : ولكنه يجيبها في مرارة اليمة فيقول : « لست والهفتاه رجل طعان وضيان . وكم كنت اتمنى ان ادرب في حداثتي على امتطاء الخيل . وامتشاق السيف ولكن البيئة الظالمة حصرت جهدي الضئيل بين القارب والشبكة والنهر ! » فترد عليه سلمى في حدة : « ان لكل رجل نصيبه من الكفاح والجلاد ، واذا توجهت الى الميدان ، فسيضعك القائد المظفر حيث تفيد ! » فتتلعثم الكلمات تحت لسانه، ولا يدري كيف يجيب !!

لقد ادرك عيسى ان زوجته الباسلة ، قد يئست من باسه . فاتجهت وحدها الى ساحة الحرب ، مستجيبة الى نداء الكرامة والعزة ، وقد شعر بحسرة لاذعة تكوي فؤاده حين وجد امراة ضعيفة تنقاد لحميتها العارمة ، فتعرض نفسها للموت ، قريرة العين باسمة الثغر ، واخذ يقارن بين عزيمتها الواثبة وخوره المتردد ، ففارت الدماء في عروقه ، ثم يمم شطر بيت المقدس ، واحس بفرحة بهيجة تملأ جوانحه حين سمع على بعد أصوات التكبير والتهليل ، فتقدم جريئا الى خيام الجند وطلب ان يقابل احد القادة من حماة الكتائب العربية ! ثم عرض عليه ان يهيىءله عملا حربيا يناسب استعداده ، ففكر القائد في أمره ثم اشار عليه ان يصحب الاسطول العربي في جولاته البحرية ، فعيسى ـ بحكم مهنته ـ صياد سباح يستطيع ان يخوض اللجج المتراكمة لينقذ ما يسقط في الماء من مؤن وآلات ، وقد استشعر الرجل فرحة غامرة حين وفق الى طريق من طرق الجهاد ، فاستقبل عمله الجديد مرتاحا مسرورا ، وادى واجبه الحربي مع رجال الاسطول اداء مخلصا ، فكافح الموج وجابه الموت غير هياب ! وقد انقذ من آلات الذخيرة وادوات الحرب شيئا كثيرا ، حتى اكبره اصحابه ، وكتب الامير حسام الدين لؤلؤ قائد الاسطول الى صلاح الدين يحدثه عن مهارة عيسى وبسالته .

مضت الايام، وزادت معامع القتال ضراما واشتعالا، فابدى الفريقان المتصارعان حول بيت المقدس من خوارق البطولة وغرائب التضحية ما كان موضع العجب والاعجاب ، ثم علت راية الحق فانتصر الجيش الاسلامي، وسقط بيت المقدس سقوطا عاد بالنكبة والخذلان على الصليبيين ، فانكسرت حدتهم ، وانكفئوا على وجوههم في الفجاج المترامية بين هارب جازع وجريح يتوجس ، وطريح قتيل ! كما وقع في الاسر من جموعهم الحاشدة ، ما يقدر عدده بالآلاف ! وظن الناس ان صلاح الدين سيفعل باسرائه ما فعلوه من قبل ؛ حين اقتحموا بيت المقدس فما تركوا عذراء في خدر ولا مصليا في محراب ، ولا عجوزا في كسر بيت ، ولا رضيعا في حجر أم الا ذبحوه وقطعوه !! حتى سالت الدماء انهارا في بيت المقدس ، وخاضت الخيل في بركها العائمة فكانت تخضب منها القوائم والبطون ؛ ! اجل ظن الناس ان البطل العظيم سينتقم ، ولكنهم نظروا فوجدوا الصفح النافر ،

اغتراب

جئت للدنيا غريبا ومعنى ... بشقائي ، بهمومي أتغنى
عشت رهن القيد محطوم المنى ... في محيط لم يقم للفكر وزنا
كل ما حولي ظلام حالك ... لم أجد في عالمي للعمر معنى
لم يكن كالروض رفاف الشذا ... عرش النسرين فيه وتثنى
انه قبر به الفكر انطوى ... لم اشاهد فيه اعراسا وحسنا
شاع فيه كل ظلم صارخ ... هل ترى في الظلم للافراح لونا
ضيعة الاحلام في أرزائه ... وبه يحتطب الموهوب غبنا
واختناق العقل في اغلاله ... لم يعد حرا طليقا مطمئنا
قيم الاخلاق في اعرافه ... كلها قد اصبحت كذبا ومينا

مقلة الضوء جئت في غربة ... تركتني ساهم الافكار مضنى
غربة الروح اكتئاب قاتم ... وعذاب مدلهم ليس يفنى
تشحب الآمال في أفيائها ... وبها تنسكب الآهات لحنا
تنزف الانغام فيها لوعة ... وبها تنعكس المأساة فنا
قوة الاحساس باليأس اصطلت ... في دمي نارا وآلاما وحزنا
لون ليل يغمر الكون الذي ... بات لي معتقلا ما عاد كونا
واختفت خلف غيوم لمحة ... لرؤى سفافة الاطياف وسنى
رغم اني تحت اطباق الأسى ... اتلوى فاقدا نطقا وذهنا
مستثار الشوق مبهور النهى ... لم ازل احيا وقلبي يتمنى
سوف افدي بالدما حرية ... باسمها اشدو وان دهر تجنى

بغداد ... خضر عباس الصالحي

الرسائل ، ويبدي من المقترحات .

وكان الليل مسرحا أمينا لمغامراته ، فهو ينتظر حتى تهجع عيون الاعداء فوق السفن ، ثم ينغمس في الماء مجتهدا الا يظهر ما ينبيء بمروره ، وقد يصطدم في ظلمات العباب بسفينة او صخرة ، فيتحمل كل عسير حتى يصل الى الشاطيء ، ثم يلتفت في كل ناحية ، حتى يلمس مأمنه ، فيسرع الى مبتغاه ، ويقضي اليوم الطويل داخل الاسوار ، حتى اذا اقبل الليل كر راجعا الى سيده ومعه الرسائل والانباء ! وكم قاسى من زمهرير الشتاء . واهوال الظلام ، وصدمات البحر ، ولسعات البرد في أعماق البحر ! وهو سعيد هانيء ، يغمره شعوره النفسي بدفء مريح ، وينفحه ايمانه القوي بما يبدد كل خوف وارتعاش ! وما زال يواصل رسالته الفذة ، حتى قطف العرب على يديه انضر زهرات النجاح .

وذات مساء تسلل كعادته حاملا أكياس الذهب الى قراقوش ، وخاض لجج الماء في برودته القاسية . مستهينا غير مكترث ! وانتظر العرب عودته فابطا .. وجاء الحمام الزاجل من عكا ينبيء بأن عيسى لم يحضر شيئا ! فاخذ الناس يتساءلون ويتكهنون فمن قائل : غره الذهب فاستولى عليه ولاذ بالفرار ! ومن قائل : وقع في يد الفرنجة فاسروه حتى تكشف الحق الاليم ، حين وجد العرب جثة طافية على الماء تتجه رويدا الى الساحل ، فاسرعوا الى انتشالها ، فعرفوا بها وجه عيسى العوام ، وقد مزق أحشاءه سهم تربص به من عدوه فرماه ! وكانت الحسرة اليمة حين ابصروا حزامه في وسطه وبه اكياس الذهب كاملة لم يضع منها دينار ! وراح الخبر الى صلاح فدمعت عيناه وامر بدفنه في موكب خاشع رهيب .

وطاف القاضي بهاء الدين بن شداد ذات مساء على ساحل البحر فوجد سيدة تسبح في الماء ! فدهش متعجبا، وانتظر حتى ارتدت ملابسها ورجعت الى الخيام ، فتبعها ليقف على حقيقة أمرها ، فعرف انها سلمى البكرية زوجة عيسى ! فسألها في حنان عما تصنع ؟ فصاحت في اعتداد : آليت على نفسي ان اتعلم السباحة لاواصل رسالة عيسى العوام ؛ واحظى باستشهاده النبيل ! فنظر اليها القاضي متعجبا وصاح ؛ صدق صلاح الدين حين قال : يا لكما من زوجين احسنت لقاءهما الاقدار !

الفيوم ـ دار المعلمات ... محمد رجب البيومي

والتسامح النبيل ..

احتفل صلاح الدين بنصر الله في موكب حاشد ، فنصب سرداقا فسيحا يضم الافواج الغفيرة من جنوده واعوانه ، وجعل يستقدم الى مجلسه الابطال واحدا واحدا ، فيصافح كل جندي بيده ، ويثني على نجدته وهمته ، ومن حوله امراؤه وقواده يخبرونه عن بلاء كل محارب وجهاده ، والقائد المظفر يبتسم ابتسامة الارتياح ، ويسلم تسليم المقدر المعتز ، وجاء دور عيسى العوام فنهض الامير حسام الدين لؤلؤ قائد الاسطول العربي ، وقال مخاطبا صلاح الدين :

ــ هذا سباح ماهر يا مولاي ! كان يقذف بنفسه بين الامواج ، فيحمل على كتفه الناحلة ، ما ثقل من آلات الحديد ، وكم انقذ من ذخيرة ثمينة ساعدت على النصر والنجاح !

فنهض صلاح الدين من مجلسه محييا مصافحا ! ولكنه ابصر امراة متهللة باسمة ، تتخطى الرقاب ، وتجتاز الصفوف ، حتى دنت من عيسى فعانقته في فرحة دافقة ، وقالت مهتاجة :

ــ انت هنا يا زوجي العزيز ؟

ــ لقد تبعتك يا سلمى حيث تشائين .

وادرك صلاح الدين حقيقة الزوجين فاغمض طرفا مستحييا ، ولوى عنقه الى الخلف ، حتى يفرغا من عناقهما اللهيف !

وانتهى المشهد المؤثر فنادى صلاح الدين عيسى ، وساله في ابتسام عن زوجته ، ولكن القاضي بهاء الدين بن شداد اسرع فقال :

ــ هذه يا مولاي سلمى البكرية من اشجع النساء ، واكرم السيدات ، كانت تحمل الجريح على صدرها مسافة طويلة فتنقله الى الخيام من الميدان ، ثم تطير بالرسائل حيث آمرها ان تسير ، فترجع بالرد في اسرع وقت ينتظر ، فحياها الله من سيدة ذات اقدام !

فنهض صلاح الدين من مجلسه ، ومد يده الى سلمى ثم قال :

ــ يا لكما من زوجين باسلين احسنت لقاءهما الاقدار !

وانتهى احتفال النصر في بهجة رفافة ، فخرج الزوجان ، ليقيما في خيمة متواضعة وراء الاسوار : قال عيسى لصاحبته :

ــ اتظنين ان مقامنا ها هنا سيطول ؟

ــ لقد سمعت من بعض القواد ان الصليبيين سيثارون لهزيمتهم عن قريب ، حتى تاتي اليهم الامداد المتلاحقة من وراء البحار ، لان اوربا لن تهدا بعد فشلها الخائب على يد صلاح ! فقد كانت طوال الاعوام السابقة تسوق الجيوش وراء الجيوش ، لتحمي بيت المقدس ، وهي بلا شك ستصاب بجنون مغيظ حين تعلم ان جهودها المتلاحقة ، قد تمزقت ايدي سبا ! على اني واثقة من النصر الظافر على يد صلاح !

فابتسم عيسى ابتسامة عذبة ، وقال في حنان :

ــ علم الله اني اتطلع الى ساعة النضال في شوق لهيف ! فقد اصبحت اهوى حياتي الجديدة هوى يختلط بالدم ، ويجري في العروق ، واني لآسف اشد الاسف على ما ضاع من ايام موحشة ، قضيتها في كسب تافه ، اتبلغ به بعد تعب ضائع كريه ! غافلا عن ميدان الرجال ، وحومة الابطال ، ولولاك يا سلمى الحبيبة ، لبقيت هكذا خاملا مجهولا ، اشعر في اعماقي الدفينة بالضعة والهوان واكابد صراعا داخليا بين عجز الحيلة ورغبة الآمال ! اما الان فيخيل الي اني سيد الماء وفارس البحار !

ــ ستمتد سيادتك على البحر بعد حين ، فتصبح امير الاسطول وقائد الامواج ، وسيزهي بك صلاح الدين في اكبار ويغدو اسمك انشودة الركب وترنيمة الابطال !

دقت الطبول فجاة بعد امد قريب ، فعلم العرب ان الميدان قد هيىء ، وان الكتائب المرتقبة ، قد زحفت سيولها من الغرب ، فقد جاء ملوك اوربا يتقدمهم فردريك وقلب الاسد ، وفيليب اوجوست ! ومن ورائهم من لا يحصون من الحشود والجنود ، وما لا يقدر من الاسلحة والعتاد والاساطيل !

وسار صلاح الدين بنفسه يجمع الجموع ، ويضع كل بطل في موضعه ، ويحمي ما يستطيع حمايته من البلاد والقلاع الا ان الكثرة الطائرة قد اتجهت الى « عكا » فحاصرتها حصارا شديدا ، وقاسى العرب داخل الاسوار صروف المحن وضروب الشدائد ، اما الجيوش العربية فقد اشتبكت مع المحاصرين بالخارج في حروب دامية مريرة ، كان النصر بها سجالا .

وكان صلاح الدين يفكر في امر هؤلاء الذين حوصروا خلف الاسوار ! فيمنع عنهم الطعام والشراب ، واحاط بهم العدو ، فلم يقدروا على المروق والافلات ! كيف يتصل بهم ، فيلم باخبارهم ، ويعرف حقيقة ما لديهم من الزاد والعتاد ! لقد فكر وقدر ، ثم هداه تفكيره الى ان يستقدم عيسى العوام ، فهو سباح ماهر يستطيع ان يخوض لجج البحر متخفيا ، فيحمل الرسائل في حذر الى العرب ، ويمدهم بما يقدر على حمله من اكياس الذهب والفضة ، ثم يعود وقد رسم الصورة الصحيحة لما شاهد وخلف ! ولعله بسفارته المستترة يقدم من الفوائد الحربية ما لا تقوم به الكتائب والجيوش ! هكذا قدر صلاح الدين ودبر ، ثم بعث بمن احضر اليه عيسى العوام ، فاصدر له اوامره وتوصياته .

كان على السباح الفدائي ان يخوض البحر مخترقا صفوف السفن الافرنجية ، دون ان يشعر به أحد ، ثم ياتي الى الاسوار الناهضة فيعمد الى فرجة ضيقة تاذن له بالتسلل فاذا وثق في مسعاه اتجه برسائله واكياسه الى بهاء الدين قراقوش حاكم المدينة ، وقائد المسلمين فابلغه رغبات صلاح الدين : ثم حمل عنه ما يخط من



انور الجندي

الموسوعة الجغرافية لجزيرة العرب

بقلم انور الجندي

* * *

تمثل الموسوعة الجغرافية التاريخية عن جزيرة العرب التي يشرف على اصدارها ويشترك فيها بالتاليف والتحقيق والمراجعة علامة الجزيرة العربية الكبير الاستاذ حمد الجاسر اعظم عمل علمي تاريخي في العصر الحديث فيما يتعلق بمسح التراث الادبي والتاريخي والجغرافي والفكري لبلاد العرب واحياء الاثار الادبية والتاريخية التي كتبت منذ اقدم العصور وترجمة المؤلفات ذات الصلة بالجزيرة مما يلقي ضوءا على جانب مجهول يتعلق بها من رحلات او دراسات وقد استطاعت « دار اليمامة » في الرياض التي تتولى اصدار هذه الموسوعة ان تقدم حتى الآن عشرة مجلدات :

١ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : مقاطعة جيزان : الاستاذ محمد بن احمد العقيلي .

٢ ـ المغانم المطابة في معالم طابة : لمجد الدين ابي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي .

٣ ـ غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة المسمى : البرق اليماني في الفتح العثماني لقطب الدين محمد بن احمد النهرواني المكي .

٤ ـ بلاد العرب تاليف الحسن بن عبد الله الاصفهاني .

٥ ـ المحمدون من الشعراء واشعارهم : علي بن يوسف القفطي .

٦ ـ كتاب المناسك واماكن الحج ومعالم الجزيرة : للامام الحربي .

٧ ـ القول السديد في اخبار امارة الرشيد : سليمان بن صالح الدخيل .

٨ ـ ابن عربي موطد الحكم الاموي في نجد : حمد الجاسر .

٩ ـ ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع : حمد الجاسر .

١٠ ـ رحلة الى بلاد نجد لليدي آن بلنت ترجمة محمد انعم غالب .

١١ ـ نبذة تاريخية عن نجد للامير ضاري بن فهد الرشيد ـ وديع البستاني .

١٢ ـ مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ : حمد الجاسر .

١٣ ـ بلاد ينبع (لمحات تاريخية وجغرافية) : حمد الجاسر .

واذا كانت بعض هذه الاجزاء من الموسوعة تحمل اسماء مؤلفيها فان العلامة حمد الجاسر هو القاسم المشترك الاعظم عليها جميعا ، فهو الذي يقدم لها ويراجعها ويحققها ويعارض المخطوطات المقدمة بمخطوطات اخرى يحصل عليها ، وهو لا يبخل على هذا العمل باي جهد او مال فيذهب الى كل مكان في اوربا او استانبول او المشرق العربي باحثا عن هذه المخطوطات من التراث لاستكمال هذا العمل الضخم الذي يهدف الى تحرير تاريخ الجزيرة العربية وبالتالي تحرير تاريخ العرب والاسلام جميعا . فليس هناك تراث قديم اكثر اتصالا باصول العربية وفجر الاسلام من ذلك التراث الخاص بالجزيرة العربية ومواقعها المختلفة حيث كانت ولا تزال مهوى افئدة المسلمين ، وحيث جرت المراحل الاولى من تاريخ المسلمين بين باديتها وحضرها .

ومن هنا تبرز اهمية هذا العمل الذي تصدى له العلامة حمد الجاسر منذ اكثر من عشرين عاما وانشا من اجله « دار اليمامة » واصدر صحيفتي اليمامة والعرب ، وليست هذه الاجزاء من الموسوعة التي صدرت بالعمل اليسير اذا تصورنا عدة امور : الامر الاول هو ان بعض اجزائها بلغ بين ٥٤٠ ، ٦٢٢ ، ٨٢٠ صفحة من القطع الكبير ، وانه حوى فهارس وكشافات عديدة، وانه روجع مراجعة دقيقة على اصوله وعلى المراجع المعروفة حتى وصل الى هذا الحد من الجودة والدقة ، بين يدي رجل صناع في عمل التاريخ والتحقيق العلمي وفي دراسة التراث والمخطوطات ، بحيث يمكن القول ، انه قدم عملا على ارقى مستوى من التحقيق العلمي والصبر الطويل على النصوص والاضابير والجذاذات .

والعلامة حمد الجاسر اسم لامع من ابرز اسماء المحققين في العالم العربي المعاصر وواحد من المع المشاركين في مجامع اللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة ، وهو الى ذلك من ابرز اسماءرواد التحقيق التاريخي الادبي في الجزيرة العربية ، وقد عمل منذ مطالع شبابه في الميادين الثلاثة التي خرجت اعظم اعلامنا : « التعليم » و « الصحافة » و « وتحقيق النص واللغة » .

وعندما استعرض جوانب حياته اجدني امام شخصية قريبة جدا في واقعها من علم رائد مر في تاريخ الادب العربي المعاصر في الثلاثينات هو احمد زكي باشا شيخ العروبة .

هذه الصورة : صورة الرجل الذاهب الى آفاق الارض : باريس ولندن وبرلين واستانبول يبحث عن المخطوطات ويصدزها ويعود بها ليحققها ويقدمها ويدفع في سبيل ذلك ما يشاء ، وينفق في سخاء بالغ ، لا يضن بشيء ، في سبيل الحصول على مخطوطة مصورة يراجع بها مخطوطة اخرى ، او يحقق بها عملا من الاعمال التي تتكامل كلها وتلتقي لتغطي تاريخ جزيرة العرب وتمسح جغرافية بلاد العرب مهبط الاسلام ومهد العرب فكل عمل من هذه الاعمال يضيف اضافة جديدة ليس للجزيرة وحدها ، او لدولها بقدر ما يضيف لتاريخ اثيل عريق ، هو تاريخ الامة العربية الاسلامية . ومنذ وقت بعيد ، ومنذ مطالع الشباب ، والعلامة حمد الجاسر الآن على حدود الستين الهم طريقه وهدفه وامطته صحته وذاكرته وطبيعته كل عوامل النجاح يقول :

« حصرت انتاجي في النواحي الثقافية من ناحية واحدة هي دراسة الماضي وما يتعلق بتلك الدراسة ، اتجهت هذا الاتجاه دون سابق رؤية او تفكير ، ولكني الآن اجد نفسي مدفوعا لمواصلة السير في تلك الوجهة واعتقد ان من المسلم به ان الامة التي لا ماضي لها تتخبط في حاضرها ولن تصل الى غايتها من اقصر طريق وامتنا ترى في ماضيها النبراس الذي يهديها لاقوم الطرق .

عراقة امتنا في الحضارة وسمو ماضيها ثم اثرها العظيم في انارة كثير من جهات العالم بما اكرمها الله به من نور النبوة وهدايتها ، كل هذه أمور تجعل هذه الامة تدرك ان حياتها في حاضرها ومستقبلها يجب ان تتصل بماضيها اقوى صلة .

ان الحياة الحاضرة في هذا العصر تقوم على أساس القوة ولن تكون الامة قوية ما لم يقو كيانها وتبقى مميزاتها وخصائصها ، وابرز هذه المميزات والخصائص لثقافتها وتاريخها وادبها ، من هنا تتبين الحاجة الى العناية بماضيها وندرك ضرورة ربط حياتنا به دون ان ننفصل عن مظاهر الحياة الحاضرة .

ان كل امة من الامم تعنى بتراثها القديم وبتاريخها عناية تجعلها تستفيد من الصالح من ذلك التراث استفادة تحفزها الى مواطن سيرها مع ركب الحضارة لا ان تتخذ من ذلك التراث عراقيل تقف في سبيل تقدمها » .

ومن الحق ان هذه المفاهيم غاية في القوة والعمق ، وهي مفهوم المدرسة الوسطى القائمة على الايمان بان القيم الاساسية لفكرنا تكمن في تراثنا المضيء المشرق ، الذي يقدم لها قاعدة البناء في نهضتنا المعاصرة .

ومن هنا كان اتجاه العلامة حمد الجاسر الى ذلك الجهد المبذول في سبيل انشاء موسوعة تاريخية جغرافية لبلاد العرب .

يقول : « رايت ان اسهم بنصيب ما نستطيعه من عمل من حيث التوجيه من الناحية التاريخية ونشر كل ما تستطيع نشره مما يتعلق بتاريخ بلاد العرب او جغرافيتها ، الى تراثها الفكري بصفة عامة ، مما يلقي ضوءا على بعض جوانب حياة امتنا في ماضيها .

ولنا تراث ذاخر قد لا يفوقه تراث امة اخرى ، اذ من بلادنا شع نور الهداية الذي أضاء العالم وفي بلادنا نمت اللغة العربية ونشأت حتى اكتملت وفي بلادنا وجد الشعراء الذين حفظ شعرهم لنا هذه اللغة في الجاهلية حتى جاء الاسلام فحفظها لنا في القرآن الكريم » .

ولا يرى العلامة الجاسر فروقا بين الادب في مصر او العراق او لبنان او غيرها من الاقطار العربية ، يقول « انني لا ادرك حدودا وفواصل استطيع بها ان اميز قطرا عن غيره بل اعتبر كل ذلك ادبا عربيا ، قد يكون للبيئة الخاصة والحياة الخاصة من الاثر ما لا يبلغ درجة التمييز او ايجاد الفروق » .

وفي مجال اللغة العربية يرى « ان الدعوة الى استعمال العامية من شانها ان تضعف العمل على ازالة الفوارق بين اللهجات وان الدعاة الى استعمال العامية هم من العاجزين عن فهم اللغة العربية وقد اتخذوا من هذا العجز وسيلة للتنفير منها والدعوة الى استعمال العامية ، وهي بذلك وسيلة للتفرقة بين ابناء الامة العربية الواحدة » .

وفي مجال الجري وراء النص ، ومراجعته ومعارضه المخطوطات القديمة والبحث عنها في مكتبات العالم رحل علامتنا ، الى اوربا حيث تسربت مخطوطات كثيرة عربية الى بلاد اوربية من أيدي سماسرة الكتب ، يقول : « ان مكتبات ايطاليا والمانيا وفرنسا وانجلترا وغيرها تضم الالاف من المخطوطات العربية ، وفي مكتبة متحف الامة في برلين وحدها من المخطوطات ما يبلغ فهرسة احد عشر مجلدا وضعها المستشرق الالماني (اهلورد) ويعتبر المتحف البريطاني من أغنى المكتبات في المخطوطات العربية ، وفي هولندا وفي باريس قدر كبير » يقول « والحصول على المخطوطات سهل ميسور بواسطة التصوير ، ولهذا فقد جمعت قدرا صالحا من هذه المخطوطات التي صورت لي في مكتبات استانبول

لقاء في الغرب

اذهلتني .. يا ناعس الجفون ... يا ساحر المحيا .. والعيون
يا طلعة خمرية .. بارض ... ما أنجبت سمراء من قرون
تشبهك (الثريا) من بلادي ... في رقة الاعطاف ، والفتون
يا بسمة الصباح بعد ليل ... فيغربتي أثرت لي الشجون
اذهلتني ادميت لي جراحا ... دفينة .. بالله من تكون

غريبة .. وموطني سماء ... مكرس للحب .. والفنون
آفاقه في الحسن .. لا تسلني ... كواكب تهواه في جنون
حدوده ؟؟ يحد كل نجم ... خلف المدى ان شئت والظنون
جماله ؟؟ أحلى الرؤى لعيني ... فظاله ، كشمسه حنون
الطير فيه للهوى يغني ... في الشط، والروابي،والغصون

فموطني .. في الشرق اغنيات ... والميجنا في قريتي لحون
ان كنت مغرما بنا .. فقلبي ... تروقه براءة المجون

انقرة ـ تركيا

مقبل العيسى

واوربا واكثرها يتعلق ببلادنا من المؤلفات القديمة من ادب وتاريخ وجغرافيا » .

وفي مصر : دار الكتب ومكتبة الازهر ومكتبة البلدية في الاسكندرية اجرى هذه التجربة ايضا ، ولم يقف عمله عند الحصول على هذه المخطوطات وتحقيقها ، بل انه عمد الى مراجعة كل ما يكتبه الغربيون من مستشرقين وكتاب ومؤرخين عن الجزيرة ، في محاولة لتصحيح اخطائهم التي تنتج أحيانا من بعدهم عن الجزيرة ، « او انهم لم يقيموا فيها سوى فترة وجيزة من الزمن لم تمكنهم من فهم ما الفوا عنه فهما كاملا » .

وفي مقدمة الاعمال التي يعنى بها العلامة حمد الجاسر : معجم جغرافي عام ، ومعجم تاريخي عام للجزيرة العربية ، ويرى ان كل باحث في اقليم يستطيع ان يقدم شيئا نافعا عن اقليمه ، ومن ثم تتكامل هذه المعاجم حتى تصبح اساسا نافعا لوضع هذا المعجم الشامل .

وهذا واحد من الاعمال التي ضمتها الموسوعة التي اشرف عليها وقدم منها بضعة عشر مجلدا . ما تزال مجلة العرب ودار اليمامة يقومان على اتمام هذا العمل الضخم الكبير .

ولعلامتنا ابحاث اخرى في مختلف نشاطاته كمؤرخ ولغوي واديب وشاعر قديم ، نشرت اولى اثاره الشعرية في كتاب « نفثات من اقلام الشباب الحجازي » ١٣٦٥ هـ ثم اتسع عمله الفكري والادبي مع امتداد الزمن حتى أصبح على هذا القدر من الاهمية والخطر اليوم اي بعد خمسة وثلاثين عاما من العمل الجاد الحازم والجهد الضخم المبذول والايمان الصادق العريق .

وقد أصدر اول صحيفة في الرياض « جريدة الرياض » وانشأ اول مطبعة ، ثم انشأ اول مجلة شهرية فصحيفة اسبوعية هي « اليمامة » .

ومن خلال أبحاث كثيرة ودراسات متعددة ، شهد لهمعاصروه وعارفو فضله بمكانته السامقة في مجال التحقيق التاريخي ومعرفة انساب العرب وفي مقدمتهم السيد محب الدين الخطيب والعقاد وطه حسين ومحمود محمد شاكر .

وهو الى هذا العمل الضخم ، وهذا الجهد المبذول رجل رضي النفس سمح الخلق كريم السجايا فيه تواضع العلماء حتى انه ليقول عن نفسه « انا اعرف الناس بنفسي ،

وان هذا الصفوة الممتازة من العلماء احسنوا بي الظن فوق ما يعلمون ويعرفون عني : فاللهم اجعلني خيرا مما يعلمون واغفر لي ما لا يعلمون » .

القاهرة

انور الجندي

من زمـان ..

من زمان ..
حين كان الحب طفلا ..
كان يلهو في امان ..
حين كان الحب في عيني احلى ..
من رفيف الاقحوان !.
حين كنـا ..
والهوى يحملنا خلف حدود الناس
.. من دون جناح ..
وانطلقنـا ..
وبعينينا من الشوق نداءات ودنيا من خيال .
وقصور شادها الوهم ..
وهدتها الرياح ..
كل ما شدناه .. وهم ..
وقصور من رمال ..
لفه الموج باكفان الزوال ..

مـن زمـان ..
حين كان العمر ..
مخضل الجنان ..
وربيعي كان في خصلة شعر ..
كان في همسة ثغر ..
لم يكن ينقذنا .. صحو الليالي ..
من رؤانا الحلوة النشوى ..
كاحلام الورود ..
ولهونـا ..
لم نكن نعرف في الدنيا الشجون ..
طفلـة تلهـو ..
وطفل في جنون ..
لم تكن نشعر ان العمر يمضي لا يعود ..
لم تكن نشعر شيئا من دوار ..
واغـانينـا من الدنيار فرار ..
وصحونـا ..

وبكفينا محار ..
كل ما كان من اللؤلؤ في كفي محار ..

لم تعد توقفنا لحظة حب ..
لم تعد ترعشنا نبضة قلب ..
شوقنا مـات ..
ولم يبق مكان ..
في فؤادينا ..
لشيء من حنان ..
لم يعد يجذبنا الى صدر الاماني ..
همسة .. او همستان ..
بسمة .. او بسمتان ..
قبلة .. او قبلتان ..
كل ما كان سخيا ..
واعدا .. حلوا .. وكان ..
لفه العمر بسجف من دخان ..

وصحونا ..
وبكفينا محار ..
كان لا شيء .. وكان ..
.. رشت الريح بعينينا التراب ..
لم نعد نلمح غير الرمل والدنيا الظلام ..
حلمنا ضاع بعيني طفلة تلهو ..
.. ولا تدري الحياه ..
سوقنا ضاع بقلب الطفل لا يدري من الدنيا ..
.. سوى نسج الكلام ..

مـن زمـان ..
حين غنيت وضاع اللحن ..
.. وانجاب الدخان !..

دمشق — محمود محمد كلزي



عامر محمد بحيري



بقلم عامر محمد بحيري

***

جـون كيتس

وكما اعجبت بشلي ووردزورث ، فكذلك اعجبت بجـون كيتس .. وكما نقلت من شعرهما ، فكذلك نقلت مـن شعره ..

وترجمة الشعر الى شعر ، مـن لغة الـى اخرى ، مسلك وعر ، وطريق شاقة ، لا يقوى عليها الا اولو العزم من الشعراء، الذين يتدرعون بالصبر الجميل؛ ويحسنون في نفس الوقت معرفة اللغتين فهما وكتابة ، كما انهم فوق ذلك يجب ان يستعملوا شاعريتهم ، ليوفقوا بينهـا وبين شاعرية من ينقلون عنه .. وبذلك يكـون نقـل الروح مصاحبا لنقل المعنى ، وموضوعا ذلك كله في ثوب مـن اللفظ الصحيح المناسب للغة المنقول اليها ..

وهناك صورتان لهذا النقل ، صورة نثرية ، يمكن مع الدقة ان تؤدي ترجمة صحيحة . ولكنها قد تبقى مع ذلك خالية من روح الشاعر الاصل : ومفتقرة الـى روح الشاعر المترجم ، رغم صحة اللفظ والمعنى .. ومن هنا كان خطأ بعض المحاولات الشعرية الجديـدة . في محاكاة هذه الصور النثرية المترجمة عن الاجنبية ، لتكون نماذج تحتذى في كتابة شعر عربي جديد ، او مجدد ..

والصورة الاخرى هي الصورة الشعرية .. وهـذه الصورة اما ان تكـون مباشرة ، اي بالنقل عـن الاصل مباشرة ، وبذلك تحتفظ بالروح ، عندما يتفق الشاعران في نزعاتهما اتفاقا كبيرا .. ولكنها تبتعد في الوقت نفسه كثيرا او قليلا عن المعنى واللفظ .. وامـا ان تكون علـى مرحلتين ، بمعنى انه بعد الترجمة النثريـة الدقيقـة ، يقوم المترجم بتحويلها شعرا ، وهي عملية اكثر سهولة ، وتؤدي في النهاية الى ادق ترجمة شعرية ممكنة .. مـع ملاحظة ان يكون كل شاعر « بليغا » في لغتـه .. ومـع التاكيد ، في النهاية ، ان كل ذلك لا يمكن ان يؤدي الـى نقل صورة شعرية مطابقة تمام المطابقة ، مـن لغة الـى اخرى ..

وهذه الطريقة الاخيرة ، وهي النقل على مرحلتين ، هي التي رايت صديقي الشاعر الكبير الدكتور مختـار الوكيل يستعملها بعناية فائقة ، في عام ١٩٣٣ ، عندمـا ترجم قصيدة « الى قبرة » لشلي ، التي اشرت اليها في فصل سابق .. وقد احسن الشاعر بذلك ، لانـه لـو اكتفى بالترجمة النثرية ، وهي دقيقة كل الدقة ، لاعطى الاصل مفتقرا بعض الشيء الـى روح الشاعر العربـي البليغ ، الذي يملك اداته كاملة .. مـع انـه حينما نقل الترجمة النثرية الى الصورة الشعرية الاخيرة ، امكنه ان يعايش تجربة شلي معايشة شعرية حقة ، وان يأتـي في نفس الوقت بنص بليغ ، قلت عنه في ذلك الفصل انـه « احسن ، واجمل ، وافخم » ...

كل هذا اقوله اعتذرا عما ساقدمه في هـذا الفصل من ترجمة لقصائد الشاعر جون كيتس .. فقـد عشت معه فترة طويلة ، في ديوانه الكامل .. وكنت على وشك ترجمة بعض قصائده الطـوال ، مثـل أنديميـون ، وهيبريون وغيرهما .. كما حببني فيه اكثر ما قاله عنه كبار النقاد وهو ماثيو ارنولد من انه كان الخليفة الحقيقي لشكسبير ، لو انـه عاش .. ولكن هـذا الشاعر الشاب النابغة قضى نحبه في السادسة والعشرين من عمره ، بعد ان خلف شعرا كثيرا اصيلا مشرقا ...

عشت مع جون كيتس في ديوانه ، وترجمت منه.. وحاولت في ذلك المحاولتين ، النقل المباشر ، والنقل على مرحلتين ، ولكني لا ازعم في كليهما انـنـي جئت بترجمة مطابقة ؛ بل مقاربة الى حد يكبر او يقل ، حسبما بذلته من جهد .. وساحاول هنا عرض بعض النماذج ..

اول ما لاحظت علـى كيتس : الشاعـر الشاب الانجليزي .. انه كتب مقطوعة عن « النيل » .. ولفت نظري ذلك ، فوجدت عند شعراء هذه الفترة كلها نزوعا الى الشرق ، فقد كتب شلي ايضا عن « النيل » .. بـل انه كتب « ثورة الاسلام » في ملحمة طويلة !

يخاطب جون كيتس النيل .. فيقول :

يا ابن الاشم ، القمر ، الافريقي   يـا جدول الاهرام ، والتمساح
انا دعوناك الخصيب ولم تكد   حتى راينا البيد جسد فساح

ثم .دنة السمر قد ارضعنها ... في المهد ، يوم الدهر في الاصباح
هل كنت خصب ام تراك خدعتها ... حتى تفوز بوافر الامداح
ما بين قاهرة الى ديكان .. قد ... جلست جلوس التعب المرتاح
يا رب ذي وهم بعيد مبهم ... ظن اللنون ، وهن غير صحاح
والجهل بالاشياء ينشيء دونها ... صحراء من وهم ، بلا ايضاح
فلقد تندى الزهر بمثل نهورنا ... وتذوق نور الشمس كل صباح
وتضم مخضر الجزائر مسرعا ... نحو المصب بنشوة ، ومراح

ولا تخلو هذه القصيدة القصيرة من نقد لاذع ، ووصف شامل محيط ، لا يخفى على الفاحص المدقق ..

كذلك يخاطب كيتس اخوانه الشعراء .. ويوجه حديثه اليهم ، فيرفع من شأنهم ، ومن شأن رسالتهم .. وينظر في امرهم ، فاذا هم يعيشون حياتين مختلفتين عن بعضهما البعض تمام الاختلاف .. الاولى حياة الارض ، يعايشون فيها الناس ، ويسعون في طلب الرزق كما يسعى غيرهم ، ويجاهدون في ارشاد الناس وتعليمهم ما وسعهم الجهد .. اما الاخرى فهي الحياة الروحية الخالصة ، حيث ترتفع ارواحهم في سماء الصفو والنور والبهجة ، وتنتقل في فراديس الجمال والحب ..

يقول جون كيتس في قصيدة « الى الشعراء » ..

ايا شعراء الهوى والطرب ... لارواحكم في الثرى مضطرب
ورحب السماء لها عالم ... جديد ، فكم هومت في الرحب

فاما التي هومت في السماء ... فبين السراج ، وبدر الضياء
تفيض الينابيع من حولها ... ويقصف رعد يصم الفضاء
وتسمع همس غصون الخلود ... وتجلس فوق رباه الوضاء
ظباء « ديانا » .. بها رتع ... ولا شيء في المرج الا الظباء
فمن سوسن البر، والاقحوان ... ظلال البهاء ، وعطر الصفاء
فاما الورود ، فعطر غريب ... عن الارض عطر تلك الجواء
وللعندليب غناء .. فما ... احب واطيب ذاك الغناء
من القدس الطهر الحانه ... وفلسفة الحق دون امتراء
يقص رواياته عذبة ... ملحبة .. عن خبايا السماء

حياة لكم في سماء العلى ... واخرى تعيشون فوق الثرى
واخلد ارواحكم بعدكم ... الى حيث سرتم دليل الهدى
لها طرب ، ولها نهمة ... وليست تذوق لذيذ الكرى
وكم ساقت القول، كي تهتدي ... بما منحته جموع الورى
تخبر عن حزنهم والسرور ... وتنبيء عن ضغنهم والهوى
وتذكر مجدهم والسقوط ... وتشرح ضعفهم والقوى
وفي كل يوم لها حكمة ... وعلم ،وان اوغلت في المدى

ايا شعراء الهوى والطرب ... لارواحكم في الثرى مضطرب
ورحب السماء لها عالم ... فسيح ، فكم هومت في الرحب

وهي قصيدة غنائية رقيقة ، لا تنقصها الحكمة البليغة .. ننتقل بعدها الى ترجمة غير مباشرة ، فقد نقلها يومئذ على مرحلتين .. وارى من الاجدى ان انقل الصورتين هنا معا ، حتى يكون المثل على ما ذكرت اكثر وضوحا ..

والقصيدة بعنوان « الحب الحديث » ... ولم اقل « الجديد » لان المقصود هو الحب الذي يجري في ايام الشاعر ، ويراه محلا للنقد ، وليس حبا جديدا لشاعر محب !

وهذه قطعة من الترجمة النثرية .. لم اجدها مكتملة ، فهي ناقصة في آخرها قدر ثلاثة اسطر .. يقول كيتس :

وما هو الحب ؟ انه لعبة مزينة
لوقت الفراغ .. تعزز ، وتربى ، وتدلل ..
شيء ناعم اخطئت تسميته .. شديد القداسة ..
حتى ان الشباب الاحمق يظن ان يجعل منه
شيئا مقدسا بحبه له .. وهكذا يمضي
متثائبا ، هائما .. صيفا باكمله ..
حتى يصبح « مشط » المحبوبة اكليلا لؤلؤيا ..
ويتحول ولنجتون الشهير ، الى رميو ماسح الاحذية ..
وحينئذ تقطن كليوباترا .. في الرقم السابع ..
ويقيم انطوني في ميدان برونزويك ..
ايها الحمقى ! لو ان عواطف اكثر سموا قد حمست العالم
لو ان الملكات والجنود قد اكرموا قلوبهم في هواها ،
ما كان هناك من سبب لتكون مثل هذه السكرات
اكثر شيوعا من نمو الاعشاب البرية ..
ايها الحمقى !.. الخ

اما الترجمة الشعرية ، فنذكرها كاملة .. وسنرى الفارق بين القطعتين واضحا .. تقول الترجمة الشعرية:

ما هو الحب ؟ لقد مثلته ... دمية العابث ، او لهو الوليد
دللته ، وتولته يد ... مثلما دلل اطفال المهود
ناعم ، قد اخطئوا في نعته ... قدسي اللحن ، علوي النشيد
الشباب الغر مفتون به ... ود لو يدخل فردوس الخلود
فقضاه فصل صيف كامل ... ذاهبا في ثؤباء ، وشرود
واشاع المشط فيه بهجة ... فهو اكليل من الدر النضيد
بطل الحرب على شهرته ... عاد من ذلته رميو الجديد
كليوباترا .. قطنته مسكنا ... انطوني .. يرقبه غير بعيد
ايها الحمقى! لو ان الكون قد ... هزه سام كتضرع الوقود
ولو ان القلب قد اكرمه ... في هواه ملكات وجنود
وانما في مثل اعشاب الربى ... دنف ، هاض له القلب شديد
ايها الحمقى! دعوني امتحن ... من جديد ذلك الدر الفريد
ذهبت ملكة مصر في الهوى ... مثل الواجد في فجر الوجود
وسيبقى الحب ما شاء الورى ... رغم خوذات نحاس وحديد

وهناك قصيدة اخرى في الحب عند كيتس ، عنوانها « ابيات الى فاني » .. وربما قلنا « أسطر » بدلا من « ابيات » .. اذا شئنا ترجمة حرفية .. لان البيت بمعنى السطر في الانجليزية .. واكتفي من هذه القصيدة بفقرات ، لطولها .. ولكنها ذات اهمية كبيرة : وساعود اليها عند الحديث عن محاولات التجديد في الشكل .. ففي هذه القصيدة انطلق كيتس يكتب بيتا من تفعيلتين ، وبيتا من ثلاثة ، او اكثر ، حسبما يتفق مجاراة للمعنى والقافية .. وقد حاولت ذات المحاولة في الترجمة ، مراعاة للامانة قدر المستطاع .. يقول كيتس لمحبوبته فاني :

كيف لي ان اسلب العينين ابهى الذكريات ..
فهما قد راتا منذ قريب .. ملكتي .. نور حياتي
ان للحس لذكرى .. فاجبني ايها الحب ، اجبني ..
كيف امحوها .. فاسترجع ما قد ضاع مني

من وثوب وانطلاق ..
عندما تفتنني كل فتاة .. ذات حسن وجمال
تنصب الفخ لصيدي .. في دلال
بينما تترك روحي في وثاق !

. . . .

كيف لي ان استعيد
مـن جديد ..
ريشي الذاهب في الريح ، فاعلو ..
ثم اعلو ، ثم اعلو ..!

. . . .

فامنحيني من جديد شفتيك ..
قد كفاني .. ان حلم الروح مقصور عليك

ويبقى بعد ذلك الحديث عن « الصدحات » .. عند كيتس ! و « الصدحات » ترجمة للفظ « السونتات » .. اصح نقلا ، واوفى غرضا .. وساعود الى ذلك في فصل خاص .. اما صدحات كيتس فاذكر منها ثلاثة .. ترجم اثنتين منها ترجمة مطلقة ، على طريقة القصيدة العربية ذات القافية الواحدة .. فجاءت الاولى في تسعة ابيات ، والثانية في اربعة عشر .. اما الثالثة فهي في اربعة عشر ايضا ـ وهو عدد ابيات السونتة كما هو معروف ـ ولكني التزمت فيها كل ما هو الاصل ، فالبيت مركب من خمس تفعيلات ، والقوافي مرتبة حسب ترتيب الشاعر ، وهي هنا تجري على النحو التالي : ١ ـ ٢ ـ ٢ ـ ١ ـ ١ ـ ٢ ـ ٢ ـ ١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ..

فالصدحة الاولى بعنوان « البحر » .. وهي :

همسات الخلود يفضي بها البحر الى كل شاطىء مهجـور
مفعما بالمياه في كـل مـد   الف كهف وفجوة في الصخور
سابرا غورها برقيـة هيكيت .. ومأثور فنهـا المسحور
وكثيرا مـا يستقـر ، فيبدو   هادىء اللج ، ساكنا كالحصير
فتظل الاصداف بالشط ايا   ما ، الى ان تهب ريح الدبور
فامنح العين بعـد جهـد فيح النسور في عرض ذلك المسجـور
وامنح الاذن بعد صخب وضوضا   ء .. نشيـد المرتـل القدير
واذا ما اتخذت مجلـك الصخر .. فاطلـق اجنحـة التفكير
وتامل .. حتى تثور كمـن يسمع في النشدات عـرس البحور

واما الثانية فعنوانها « فصول العام » .. وهي :

ذهبت فصول العام ار   بعـة ، تعـد وتحصر
ومضت فصول العمر ار   بعـة ، كـذاك تحـرر
فالعمر .. مقتبل الحيا   ة هو « الربيع » الاعطر
صافي الخيال به على   دنيـا الجمـال مسيطـر
و« الصيف » من عمر الفتى   ترف ، وعيش اخضـر
كالشهـد ، مـا يتامـل الدنيـا .. ومـا يتفكـر
يسمو باحـلام البهـا   ء الـى السماء فيظهـر
وله « خريف » هادىء   رطب النسائـم ممطـر
يطوي جناحيه ، وكا   ن مـع الجوارح ينشر
عطلا ، رضي النفس ، يكتنفـه الضبـاب فينظـر
بالحسن ليـس بآبـه   والحسن سـرب يعبـر
كالعشب في فم جدول   باللـج امسى يزخـر
وله « شتاء » شاحب   مسـخ التطلـع اصفـر
فكـذا الفتـى .. اولا .. فليس بآدمـي يذكـر

واما الثالثة ، وقد اشرت الـى وضعها الخاص ، فعنوانها « الجندب والصرصر » .. وهي :

ان شعرا اوحـت الارض بـه .. ليس لـه الدهر نفـاد
عندما يغشي على الاطيار ، في الوهاج مـن شمس السماء
تختفي في رطيب الظـل .. يسري الصوت في رحب الفضاء
من سياج لسياج .. فـوق خضراء مشى فيهـا الحصاد

ذلـك الجنـدب ـ لا يفتـأ يعطـي نفسـه كـل المـراد
من متاع الصيف ـ لا يفرغ مما هـو فيـه بمـن هنـاء
ورضى .. حتى اذا اعياه لهـو .. ومـن اللهو عيـاء
انثنى يلتمس الراحـة في الاعشاب .. طابت مـن مهـاد

ان شعرا اوحت الارض به .. ليس لـه الدهـر انقطاع
في مساء مفـرد الوحشة ، شتوي ، اذا اشتـد الصقيع
ثم ساد الصمت .. يمتـد مـن الموقـد صوت كالنشيـد
نغـم الصرصر ، مـا استشعر مـن دفء فللحـن ارتفاع
ولقـد يحسبه الفـارق في احلامـه .. نصف صريـع
نغم الجندب .. يسري فوق معشاب الروابي ، والنجـود

رحم الله الشاعر جون كيتس .. وكل شاعر يؤدي رسالته الشعرية ، بأمانة وصدق !!

مصر الجديدة   عامر محمد بحيري

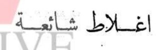
قصة حب فاشلة

يمين الله كنت أحبها دوما
يمين اللـه ..
وكنت اود لو نحيا سويا تحت سقف الريح
نجني الحب والاطفال ،
ناكل اردأ الفضلات ،
نشرب اردأ الامواه ،
نلبس اردأ الاسمال
يمين الله كنت احبها
رغم السنين الاربعين بوجهها المحزون
وكنت اسد بالاوهام قلبي والهوى المجنون
يمين الله كنت احبها دوما
يمين اللـه ..
ولكنا مضينا ذات يوم دون ان ندري
مضينا في غريق العار
فاتعبنـا الطريـق ..
تورمت بالشوك ارجلنا وايدينا
فالقينا عصا التسيار
وسحنا في بلاد الله !

عمان ـ الاردن   علي فوده



محمد العدناني



اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

الى القراء الكرام

قد شاء السيدان صاحبا مكتبة لبنان ببيروت ان لا اواصل نشر مقالاتي المتسلسلة عن الاغلاط الشائعة في مجلة « الاديب » الغراء بعدما ظهر جزء صغير منها . ورايا ايضا ان يشمل الكتاب جل الاخطاء التي نبه اليها كبار اللغويين في العالم العربي قديمه وحديثه ، وان يطلق عليه اسم « معجم الاخطاء الشائعة » ، بعد ان اخذا على عاتقهما التفرد بطباعة معظم المعاجم في اكثر اللغات العالمية انتشارا ، وتوزيعها على جل ارجاء العالم المتمدن .

فتلبية لرغبتهما ، ترون مقدمة « معجم الاخطاء الشائعة » ، لتطلعوا على الاسلوب العلمي الدقيق المرهق الذي اتبعته في تاليف هذا المعجم ، والمصادر اللغوية العديدة التي اعتمدت عليها ، راجيا ان تتاح لي فرصة عرض انموذجات قليلة من كل حرف من الحروف الهجائية في اعداد « الاديب » المقبلة .

ولكم شكري الجزيل على التشجيع الذي لقيته منكم في شتى اقطار العالم العربي من محيطه الى خليجه ، مؤملا ان يكون « معجم الاخطاء الشائعة » – بعد صدوره من المطبعة – عند حسن ظنكم به وبمؤلفه .

مقدمة معجم الاخطاء الشائعة

شرعت في التحقيق في المعجمات منذ نحو خمسين عاما ، لتصحيح ما كنت اقترفه من اغلاط لغوية في شعري ، وفي الموضوعات الانشائية التي كان اساتذتنا يعطوننا اياها .

ثم واصلت التحقيق والبحث ، كلما دعت الحاجة الى ذلك ، حتى يومنا هذا ، الذي اصبحت فيه في الشطر الثاني من العقد السابع من عمري .

لقد تلقفت كثيرا من الاخطاء الواردة في هذا الكتاب من افواه الخطباء ومذيعي الراديو والتلفزيون ، ومن الصحف والمجلات والكتب، والذيعون في هذه الايام في طليعة موجهي الشعب ، والمؤثرين فيه ادبيا، ولغويا ، وقوميا ، واجتماعيا .

وهنالك اخطاء اخرى كثيرة ضربت عنها صفحا ، لانها لا يقترفها الا القليل من الكتاب البلغاء ، ولانها ليست ذات أهمية لغوية كبيرة .

انني لا ارى المجد اللغوي أقل قيمة من المجد السياسي للامة الصاحية حديثا من سباتها العميق كامتنا العربية ، لذا انصح جميع قادتنا بان يوجهوا اهتماما كبيرا الى تقوية الفصحى ، والاقلال من اللغة العامية في الاذاعة والتلفاز والمسارح ودور الخيالة (السينما)، وضبط معظم الكتب والمجلات بالشكل التام ، حتى تصبح صحة اللغة ملكة لدى القراء .

وقد اعتمدت في تصويب الكلمة ، او العبارة على وجودها :

١ – في القرآن الكريم .

٢ – في حديث شريف ، ثبت لي ان راويه حرص على النص اللفظي ، الذي نطق به الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وان الراوي ليس مسلما اجنبيا ، خوفا من ان يكون ممن لا يحسنون النطق بالكلام العربي الصحيح ، ويكتفون بالحرص على المعنى دون المبنى .

٣ – في امهات المعجمات كلها ، او بعضها ، او واحد منها ، على ان لا يكون سبب الانفراد خطا مطبعيا .

٤ – في بيت لاحد امراء الشعر الجاهلي (على ان لا يكون منحولا)، او احد فحول شعراء صدر الاسلام والعصر الاموي ، مع اهمال جميع ما شذ عن قواعد الصرف والنحو ، والابتعاد عن جميع الضرائر الشعرية ، التي يسمح بها للشاعر دون الناثر . وقد قال محمود شكري الالوسي في كتابه « الضرائر ، وما يسوغ للشاعر دون الناثر » ما نصه : « وذهب الجمهور الى ان اغلاط العرب ليست من قبيل الضرورة ، وانها لا تغفر لهم ، ولا يعذرون فيها ، ولا يتابعون عليها كما يتابعون في الضرائر » .

ولا ارضى ان ياتي حرف جر مكان آخر ، اذا ورد مثله في بيت من الشعر ، كما جاء في بيت الشاعر الاموي القحيف العقيلي :

اذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها

اراد : (رضيت عني) ، وقد اضطر الى ذلك محافظة على الوزن. (راجع راي ابن جني في الضرائر في صفحة ١٢٨ من كتاب الالوسي).

٥ – في الكلمات التي اقرتها مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط .

٦ – في امهات كتب النحو ، معتمدا على راي مدرسة البصريين او الكوفيين ، عندما اجد راي احداهما اقرب الى العقل ، وبعيدا عن التعقيد ، مع اجازة رأي المدرسة الاخرى .

وعندما ارى الخلاف شديدا بين أئمة اللغة ، او ائمة النحو والصرف ، ارجع الى المنطق والعقل ، فاعمل بوحيهما ، على أن افوز بموافقة واحد من المجامع العربية على الاقل ، ان لم استطع الفوز بموافقتها كلها ، لكي لا يدب التشويش والفوضى الى لغتنا الخالدة .

وقد رغبت ، بكتابي هذا ، في تذليل بعض العقبات الكثيرة ، التي حالت ، خلال قرون طويلة ، دون بلوغ اللغة العربية قمة الكمال ، مبديا رايي الشخصي احيانا ، بعد ان اعثر على دعامة منطقية تؤيده، لاعرضه بعد ذلك على مجامعنا اللغوية ، استئناسا بآرائها ، حتى اذا اقرته ، تكون قد حطمنا بعض السهام ، التي يصوبها اعداء العروبة الى قلب الضاد ، لتنال من شموخها ، فتثلج بعد ذلك صدور الخصوم والمستعمرين ، الذين يخيل اليهم انهم نجحوا في مؤامراتهم على اللغة

العربية ، التي ستوحد غدا قلوب العرب كافة ، وسواعدهم كلها ، كما وحدت السنتهم منذ مئات السنين . وهيهات ان يستطيعوا النيل من ضادنا ، التي صمدت في وجه عواصف القرون الوسطى وعصر الانحطاط . فكيف لا تصمد الآن ، وقد ولجنا اوسع ابواب العلم والنهضة ، في الشطر الثاني من القرن العشرين ، بعقول متفتحة ، وبصائر واعية .

ونحن اليوم لا نرضى ان نبقى في المكان اللغوي ، الذي وضعنا فيه ائمة اللغة من اجدادنا بالامس ، لان قوانين الطبيعة والاجتماع تفرض علينا ان نكون امة تسير الى الامام ، وان تكون عقولنا اكثر نضجا من عقول اسلافنا ، واكثر استيعابا للمعرفة ، بفضل اساليب التعليم الحديثة الممتازة ، وسرعة الطباعة ، وكثرة المراجع اللغوية ، ذوات التبويب الحسن والفهارس الدقيقة الشاملة ، بحيث يستطيع المرء ان ينجز الآن ، في ساعة واحدة ، ما كان يحتاج اجدادنا الى يوم كامل لانجازه .

وهذا يجعل آفاق العلماء اليوم ، في اللغة وسواها ، اوسع جدا من آفاق علماء الامس ، ويجعلنا ايضا نفتح عيوننا جيدا ، عندما نسير على دروب من سبقنا من اللغويين ، حتى اذا وجدنا عقبة ازلناها ، لتصبح طرقنا اللغوية معبدة قدر المستطاع ، ليأتي من بعدنا ، ويواصلوا السير قدما على الطريق نفسها ، حتى نصل يوما الى نهاية الشوط ، الذي لا بد لنا من الوصول اليها ، طال الطريق ام قصر .

واللغات الحية كاللغة العربية ، تحتاج دائما الى قليل من التهذيب ، لمسايرة العصر الذي تعيش فيه .

وانا - وان كنت ممن يحيطون العباقرة من اجدادنا بهالة من الاكبار - لا انزههم عن الخطأ ، لان العصمة لله وحده . وأرى ان نصحح ما وقعوا فيه من اخطاء لغوية ، او نحوية ، او صرفية ، او املائية ، ونذكر الاسباب التي حملتنا على ذلك التصحيح ، مشفوعة بالحجج الدامغة ، التي لا يأتيها الشك من بين يديها ، ولا من خلفها ، لان معجماتنا - قديمها وحديثها - لم يخل واحد منها من الاخطاء . فالاساس صحح بعض ما وهم فيه الصحاح ، وجاء اللسان فصحح اوهام من سبقه جميعا واخطاءهم ، دون ان ينجو تهذيب اللغة للازهري والمحكم لابن سيده من مآخذه عليهما . وجاء الفيومي في مصباحه المنير ، ثم الفيروز ابادي في قاموسه المحيط فحاولا جهدهما تجنب ما وهم فيه من سبقهما ، فكان اولهما موجزا جدا ، وثانيهما موجزا وفيه كثير من الاخطاء .

وانتظر العالم العربي ٣٢٨ سنة هجرية بعد وفاة الفيروز آبادي ، حتى ولد الزبيدي ، صاحب « تاج العروس » ، الذي اخذ من جميع من سبقه ، وحاول جهده اجتناب جميع اخطائهم ، مضيفا اربعين الف مادة جديدة الى الثمانين الف مادة ، التي جاء بها اللسان ، حسب رواية الاستاذ احمد عبد الغفور عطار ، في كتابه النفيس « مقدمة الصحاح » . ومستدرك التاج يكفي لملء معجم في مجلد ضخم ، ومع ذلك ، لم يخل ذلك الصارم العربي من نبوات غير قليلة .

ثم ظهرت معجمات كثيرة ، كان خيرها وادقها معجم « متن اللغة » للشيخ احمد رضا ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، في خمسة مجلدات كبيرة ، انتهى طبعها عام ١٩٦١ م. ، وذكر فيها ما عربه هو ، وما عربه مجمع اللغة العربية الملكي بمصر ، والمجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع مصر الاول عام ١٨٩٣ م. ، والمجمع الثاني المصري عام ١٩١٠ م. واورد الاوضاع التي نشرها كل من احمد تيمور والاب انستاس الكرملي . ومع ذلك ، احصيت على هذا المعجم النفيس ، خلال بضعة الاشهر المنصرمة ، اكثر من مئتي غلطة ، لان المؤلف اعتمد على نفسه . ولو اشترك معه زملاؤه اعضاء المجمع الدمشقي ، لاستطاعوا الاقتراب من قمة الكمال .

وانا ارجو ان تتوحد مجامعنا كلها ، وتنبثق من ذلك المجمع الموحد لجنة تؤلف معجما حديثا ، شاملا ودقيقا ، تثبت فيه المولد والمعرب والدخيل ، وتشرف على طباعته ، ليخرج للناس دون خطأ لغوي او طباعي ، كما نرى في معجمات الغرب وكتبه .

وليس ذلك على همة اعضاء مجامعنا النابهين المخلصين لامتهم وضادهم بعزيز .

ومما حفزني الى نشر هذا الكتاب ما أساء به كثير من المترجمين الى الفصحى ، بنقلهم صيغا اجنبية الى اللغة العربية نقلا يكاد يكون حرفيا ، ووضعهم حروف الجر في الضاد كما جاءت في اللغة الانكليزية ، التي لا يسمح نقادها لعالم من علمائهم بوضع حرف جر مكان آخر ، بله ادباءهم . وفي الانكليزية مئات الافعال التي لكل منها حرف جر واحد ، لا يجوز ابداله بغيره ، مع تعدد معاني الفعل اذا تعددت احرف الجر ، التي يجوز الحاقها به . فلماذا ندعو الى التسامح في لغتنا ، بينما هم لا يتسامحون ؟ ولماذا نقلدهم في كثير من تراكيبهم اللغوية واصطلاحاتهم ، ولا نقلدهم في المحافظة على أصول لغتنا ؟

جاء في الصفحة ٢١٢ من الجزء السابع عشر من لسان العرب ، وفي الصفحة ٢٢٠٩ من المجلد السادس من الصحاح ، ما يأتي :

« يقولون في القسم : من ربي ما فعلت . ف (من) حرف جر ، وضعت موضع (الباء) هاهنا ، لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، اذا لم يلتبس المعنى » .

هذا القول لا استطيع تخطئته ، لانه يعتمد على منطق سليم ، ويرمي الى التبسيط ، لا التعقيد ، ولكنني لا احبذه ، لان كثيرين سيخلطون بين قولنا ، غضب له وغضب عليه ، وتعصب له وتعصب عليه ، ورغب فيه ورغب عنه ، ولان الانكليزية ، مثلا ، تفرض على المتكلمين بها حروف جر ، خاصة بعدد كبير من الافعال ، اذا اهملوها ، او ابدلوا حرف جر بآخر ، حوسبوا على ذلك حسابا عسيرا .

ثم لماذا نريد ان نتسامح في جموع التكسير عندنا ، بينما يقيمون القيامة على اضعف مراسل صحفي ، اذا اخطأ في وضع جمع شاذ .

لماذا نادي بالتسامح في كتابة املائنا وهم لا ينادون ، رغم ان املاءهم صعب جدا ، فلماذا تتغنى باملائهم الصعب المعقد ، ونندد باملائنا السهل البسيط ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

ومن الامور التي الزمت نفسي بها في هذا الكتاب :

ا - استنكار بعض ما جاء على لسان الاعراب الاميين من اخطاء ، تنافي القواعد القياسية ، مثل كسر حرف المضارعة في (اخال) ، ورفع الاسماء الخمسة بالالف ، كقولهم : مكره اخاك لا بطل . وتحبيذ الرجوع الى القياس والعقل .

ب - الدعوة بالحاح الى ابقاء باب الاجتهاد النحوي واللغوي مفتوحا في وجوه علماء النحو واللغة ، تاركا الكلمة النهائية الفاصلة لمجامعنا اللغوية الاربعة (التي ارجو ان تتوحد) دون غيرها ، لكي لا تتسرب الفوضى الى لغتنا الدقيقة الخالدة .

ج - قبول جميع ما اخترته من الكلمات التي اقرتها مجامعنا اللغوية ، لكي نسير على هدى المجامع والمعاجم .

د - وضع الصواب عنوانا للبحث ، لكي يأخذه نظر القارىء ، ويبقى في ذهنه . وذكر الخطأ في الشرح متلوا بذكر الصواب مرة ثانية ، ليزداد رسوخا في الذهن . والذاكرة تحتاج الى تكرار ، لكي تختزن الاشياء التي نرغب في اختزانها .

هـ - وضع الاغلاط حسب ترتيب المعاجم الحديثة ، لكي يسهل الرجوع اليها ، مع دليل (فهرست) دقيق ، في نهاية هذا المعجم ، يرشد المستشير المستعجل ، بينما يبقى متن الكتاب الشامل مرجعا للكاتب المدقق ، الذي يريد ان يحيط علما بالحقائق اللغوية من جميع وجوهها .

وفي الختام لا بد لي من القول بانني اقدمت على ارتياد بعض مجاهل الضاد ، التي تهيبها جل الباحثين المدققين ، وزادي الصبر على العمل الشاق المضني ، وسلاحي الايمان بان كثيرا مما يبدو لنا فحما في مناجم معجماتنا ، انما هو قطع نفيسة من الالماس ، تحتاج الى

صقل قليل ليبهر الالباب لمعانها ، وهدفي خدمة لغتي المحبوبة وابنـاء قومي الكرام . وقد سلخت شبابي وكهولتي وصدر شيخوختي ، وانـا اداب في البحث عن كنوز الضاد ، وتعليم الناطقين بهـا في الجامعات والثانويات ودور المعلمين والمعلمات ، واملي شديد في ان اكـون قـد اديت الرسالة اللغوية الادبية ، التي نذرت حياتي كلها لهـا ، ارضاء لامتي ، ولغتي وضميري ، وايمانا بان وحدة امتي - حين يقدر لها ان تتم - لا بد ان تكون اللغة العربية احدى دعائمها القوية ، التي يشاد عليها حصنها المنيع .

وانا ، في معجمي هذا ، لا ادعي انني معصوم عن الخطا ، فالعصمة لله وحده ، ولكنني اشهد انني لم ادخـر وسعا في اجتناب الخطا ، وبذل الجهود المضنية للوصول الى الحقيقة ، غـير حاسب لصحتي ووقتي حسابا ، ومرددا قول ابن الاثير في المثل السائر : « ليس الفاضل من لا يغلط ، بل الفاضل من يعد غلطة » .

اما المصادر التي اعتمدت عليها ، فاهمها ما ياتي :

١ - تاج العروس للزبيدي ، المطبوع في مصر سـنـة ١٣٠٧ هـ. بالمطبعة الخيرية بجمالية مصر .

٢ - لسان العرب لابن منظور ، المطبـوع في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٢٠٠ هـ.

٣ - القاموس المحيط للفيروز ابادي ، المطبوع في مصر بمطبعـة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ.

٤ - اساس البلاغة للزمخشري ، المطبوع في بيروت بـدار صادر ودار بيروت للنشر ، سنة ١٣٨٥ هـ. ١٩٦٥ م.

٥ - الصحاح للجوهري ، المطبوع في دار الكتاب العربي بمصر ، وتحقيق احمد عبد الغفور عطار سنة ١٣٧٧ هـ.

٦ - المصباح المنير للفيومي ، سنة ١٢٧٨ هـ. تصحيح الشيخ محمود العالم والشيخ نصر الهوريني . والنسخة التي لدي مصورة عن النسخة الاصلية بخط المؤلف ، التي انتهى من كتابتها سنة ٧٣٤ هـ.

٧ - معجم متن اللغة للشيخ احمد رضا عضو المجمع العلمـي العربي بدمشق ، طبع دار مكتبة الحيـاة بيروت سـنـة ١٣٧٧ هـ. ١٩٥٨ م.

٨ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالـة ، طبع في مطبعة الترقـي بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ. ١٩٥٧ م.

٩ - الاعلام لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة ، طبع في بيروت سنة ١٣٩٠ هـ. ١٩٧٠ م. ولم يذكر اسم المطبعة .

١٠ - معجم الادباء لياقوت الحموي للناشر المستشرق الانكليـزي مرجليوث ، ومطبوع بدار المامون بالقاهرة للدكتور احمد فريـد رفاعي سنة ١٣٥٥ هـ. ١٩٣٦ م.

١١ - كنز الحفاظ في كتاب تهذيب (الالفاظ لابـن السكيت) ، هذبه الخطيب التبريزي ، ووقف على طبعه وضبطه الاب لويس شيخو، طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، سنة ١٨٩٥ م.

١٢ - شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، نشره وحققه احمد امين وعبد السلام هارون - الطبعة الاولى - مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م.

١٣ - فقه اللغة للثعالبي ، مطبوع في دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٢٤٦ هـ.

١٤ - ادب الكاتب لابن قتيبة مطبـوع في دار الكتاب العربـي بالقاهرة سنة ١٢٤٦ هـ.

١٥ - الامالي لابي علي القالي طبع دار الكتب المصرية ، سنـة ١٣٤٤ هـ. ١٩٢٦ م.

١٦ - نهج البلاغة للامام علي كرم الله وجهه ، وشرح الشيـخ محمد عبده ، طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة .

١٧ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير الطبعـة الاولى سنة ١٣٥٤ هـ. ١٩٣٥ م. مطبعة حجازي بالقاهرة .

١٨ - كشف الطرة عن الغـرة للشهاب محمود الالوسي طبـع دمشق سنة ١٣٠٦ هـ.

١٩ - حياة الحيوان الكبرى للدميري مطبعة محمد علـي صبيح واولاده بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ.

٢٠ - دقائق العربية لامين ناصر الدين طبعته مكتبة لبنان ببيروت ثانية سنة ١٩٦٨ م.

٢١ - اخطاء شائعة في الفاظ العلوم الزراعية والنباتية لمصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، طبع بمطبعة الترقـي بدمشق سنة ١٣٨٢ هـ. ١٩٦٢ م.

٢٢ - قل ولا تقل للدكتور مصطفى جواد (الجزء الاول ، الطبعة الثانية) بمطبعة اسعد ببغداد سنة ١٩٧٠ م.

٢٣ - كتاب المنذر للشيخ ابراهيم المنذر (الجزء الاول) مطبعـة السلام ببيروت سنة ١٩٢٧ م.

٢٤ - لغة الجرائد للشيخ ابراهيم اليازجي (الطبعـة الاولـى) مطبعة مطر بمصر (لم يرد ذكر السنة) .

٢٥ - الكتابة الصحيحة لزهدي جارالله (الطبعة الاولى) مطبعة دار الكتب ببيروت نيسان سنة ١٩٦٨ م.

٢٦ - الضرائر ، وما يسوغ للشاعر دون الناثر لمحمود شكـري الالوسي ، وشرح محمد بهجت الاثري ، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤١ هـ. ١٩٢٢ م.

٢٧ - ادب الكتاب لابي بكر الصولي تحقيق الالوسي والاثـري ، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤١ هـ.

٢٨ - نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد للشيـخ ابراهيم اليازجي (طبعة ثانية) ، مكتبة لبنان ببيروت ، سنة ١٩٧٠ م.

٢٩ - شذور الذهب لابن هشام الانصاري ، مطبعـة السعادة بالقاهرة ، (الطبعة السادسة) ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ م.

٣٠ - النحو الوافي ، لعباس حسن ، طبع دار المعارف بالقاهرة ، (الطبعة الثالثة) ، سنة ١٩٦٦ م.

٣١ - شرح الصبان على شرح الاشموني على الفية ابـن مالك ، تحقيق الشيخ رضوان محمد رضوان ، وطبع المطبعة المصرية بالازهر ، سنة ١٣٤٩ هـ. ١٩٣١ م.

٣٢ - جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني ، بالمطبعة العصرية بصيدا ، (الطبعة الثامنة) ، سنة ١٣٧٨ هـ. ١٩٥٩ م.

٣٣ - تذكرة الكاتب لاسعد خليل داغر المتوفي سنة ١٩٣٥ م.

٣٤ - مقامات الحريري للقاسم بـن علـي الحريري البصري ، بالمطبعة الحسينية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٨ هـ. ١٩٢٩ م.

٣٥ - كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ، (الطبعة التاسعة) بطبعة الاباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩١٣ م.

٣٦ - مد القاموس لمؤلفه ادورد وليم لين معجم من العربية الـى الانكليزية ، في ثمانية مجلدات ، (الطبعة الحديثة) ، اصدار مكتبـة لبنان ببيروت سنة ١٩٦٨ م. وقد ظهرت الطبعة الاولى عام ١٨٦٣ م.

٣٧ - معجم (محيط المحيط) للمعلم بطرس البستاني في مجلدين ضخمين ، ظهرت الطبعة الاولـى ببيروت سنـة ١٢٨٦ هـ. ١٨٧٠ م. واصدرت مكتبة لبنان ببيروت طبعته الحديثه (طبق الاصل) بطريقـة الفوتو اوفست عن الطبعة الاولى .

٣٨ - تكملة المعاجم العربية للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي معجم من العربية الى الفرنسية في مجلدين كبيرين (الطبعة الحديثة) ، اصدار مكتبة لبنان ببيروت سنة ١٩٦٨ م. وقد ظهرت الطبعة الاولـى عـام ١٨٨١ م.

٣٩ - معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (انكليزي - عربي) لاحمد شفيق الخطيب المطبوع بمطابع (كولودبرس) ببيروت ، نشر مكتبة لبنان ببيروت سنة ١٩٧١ م.

٤٠ - المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، قام باخراجه

مريض

على سريري وليلي ما لـه سحر	ليل المصائب لا زهـر ولا قمـر
رهن الهواجس والافكار تنهكني	ما اتعب المرء ان شطت به الفكر
اغوص في بحـــر احـلام مشتتة	تمور في موجها الاصداف والدرر
ولست ادري اخيرا منهـا ارقبه	ام في عواقبهـا الارزاء والضـرر
ليت الرزايا التـي ناءت بكلكلهـا	بعـد العشية لا يبقى لهـا اثـر
وبعـد ليـل طويـل حالك تعب	يهل مـن جانحيه فجـره النضر
فكـل عسر لـه يسر لـه فـرج	واللـه يعلم ما ياتي بـه القـدر
يـا هانئا في سرير فيـه راحته	انـي اسير فـراش حشوه ابـر
انا المريض الذي لا شيء يفرجـه	تجول في نفسه الاوهام والخطـر
والصبر اثمن مـــا يشرى لطالبه	ودرهم الصبر قنطارا لمن صبروا
يا ليت لي درهما احيي بـه املا	او ليت لـي املا في ضوئه خبـر
لكـي انـام قريـر العين مرتقبا	عند الصباح دموع البشر تنهمـر
العمريمضي وكم فيه لنـا عبـر	في كل يوم ولم تحفل بهـا البشر
والمرء يخـدع بالدنيـا ويعشقها	حتى يغيب ولا يقضى لـه وطر
ما اهنا الليل مطويا علـى امـل	وافظع الليل مـن للموت ينتظـر

سان باولو ـ البرازيل

فيليب لطف الله

ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار . (الطبعة الاولى) ، مطبعة مصر بالقاهرة سنـــة ١٣٨١ هـ. و ١٩٦٢ م. وهو من أدق المعاجم الحديثة ، وفيه احدث الاراء التـــي وافق عليها اعضاء هذا المجمع النشيط ، بعد ان اخذوا بيد اللغـــة العربية ، التي كانت قد وقفت عند حدود معينة مـــن المكان والزمان لا تعداها ، فالحدود المكانية هي شبـــه جزيرة العـــرب ، والحدود الزمانية هي آخر المئة الثانية من الهجرة لعرب الامصار ، وآخر المئـة الرابعة لاعراب البوادي .

وقد جعلت ((المعجم الوسيط)) الحكم الفصل في كثير من الاحيان، لان من مميزاته :

أ ـ تصحيح الخطا في بعض تعاريف المعاجم القديمة .

ب ـ ازالة اللبس في التبويب .

ج ـ ادخال ما دعت الضرورة الى ادخاله من الالفاظ المولدة ، او المحدثة ، او المعربة ، أو الدخيلة التي اقرها مجمع القاهرة ، وارتضاها الادباء ، فتفوهت بها السنتهم ، ورقمتها اقلامهم .

د ـ قياس المطاوعة من (فعلل) ، وما الحق به ، وهو : (تفعلل)، نحو : دحرجته فتدحرج .

هـ ـ قياس تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة .

و ـ قياس المطاوعة ل (فعل) ، وهو (تفعل) .

ز ـ قياس صيغة (استفعل) لافادة الطلب او الصيرورة .

ح ـ قياس صنع مصدر مـن كلمـة بزيادة مشددة وتاء ، وهـو (المصدر الصناعي) .

ط ـ قياس صوغ مصدر على (فعال) من الفعل اللازم المفتـوح العين للدلالة على المرض .

ي ـ قياس صوغ مصدر على وزن (فعلان) للفعل اللازم المفتوح العين اذا دل على تقلب واضطراب .

ك ـ قياس صوغ مصدر على وزن (فعالة) مـــن جميع ابـواب الثلاثي للدلالة على الحرفة او شبهها .

ل ـ قياس صوغ اسم على وزن (مفعل) و (مفعال) و (مفعلة) من الفعل الثلاثي للدلالة على الآلة التي يعالج بهـا الشيء ، ويضاف الى هذه الصيغ الثلاث (فعالة) كخراطة وسماعة .

م ـ قياس صوغ (مفعلة) من اسماء الاعيان الثلاثية الاصول ، للمكان الذي تكثر فيه هذه الاعيان ، سواء اكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجماد ، مثل (مبطخة) و (مأسدة) .

ن ـ قياس صوغ (فعال) للمبالغة من مصدر الفعـــل الثلاثـي اللازم والمتعدي .

هذه هي اهم المراجع التي اعتمـدت عليهـــا في تحقيق الكلمات الواردة في هذا المعجم ، ولم اذكر عددا كبيرا من الكتب والمجلات ، التي ذكرت بعض الاخطاء ، بحق او بغير حق ، لان جميع الازمنة لا تخلو من وجود بعض المسرفين اما في التسامح اللغوي ، او في التنطع اللغوي .

واساله تعالى ان يهب لي الصحة والصبر ، لاقوم بواجبي نحـو قومي ولغتي ، ومنه استمد العون ، وعليه أتوكل ، واليه أنيب .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

غاصت الشمس في لجج المغيب القانية ... وما لبثت ان اختفت . فانكسرت حدة الحرارة ، التي كانت ترسلها على قرية الشواشنة الصغيرة . وكان ذلك جاء رحمة باولئك المكدودين ، الذين يدرجون على الجسر ، او في دروب القرية : التي امست غارقة في غسق المساء ..

وانحنت ام قرنى لتنفذ داخل عشتها : التي لا يتجاوز ارتفاعها ثلاثة ارباع قامتها ، ثم القت بابنها على قطعة من الحصير ، ودلفت الى جحر آخر اقل ارتفاعا ، فاحضرت جرة مش ، وجبن قديم ، ذي مذاق تهفو اليه النفس ، وضعتها بجانب الفراش ، وراحت ترنو اليها كشيء ثمين ...

فغدا سيقام سوق الثلاثاء بالمدينة ، وستحملها في الصباح على راسها ، وتجتاز بها المسافات الطوال ... ولكنها ، لا ريب ستركب المواصلات ، لتبلغ السوق ... وعلى ذلك جعلت تحصي اجرة المواصلات ، التي ستحتاجها ...

وما ان اطمانت اليها حتى صرتها في طرف طرحتها البالية ... ان مشقة الطريق لتهون عليها ، لقاء حصولها على ثمن الجرة بما فيها من جبن قديم ، ومش ، ظلت تجمعها من قوتها ، وقوت ابنها ، ليمكنها شراء كسوة تستر بها جسدها السقيم هي وابنها ، او تعد قليلا من الزاد ، لعل زوجها ــ الذي انقطعت عنها اخباره لمدة طويلة ــ يعود اليها من التراحيل ، فيجد عندها من الزاد ما يتبلغ به ، وما يطمئنه على ان زوجه لا تتكفكف ...!

واسندت ظهرها ــ البارز العظام ــ الى جدار العشة المبنية من الطين الاسود والعشب ، بينما زحف ابنها صوبها كحشرة ضئيلة ، وتعلق بها ، وفمه الرضيع يدور بحثا عن ثدييها المعروقين : اللذين التصقا بجسدها لضآلتهما ...!

وما ان عثر على احدهما حتى انتزعه بصعوبة ، وراح يمتصه املا في الحصول على جرعة لبن ، وعيناه الصغيرتان تزدادان غوصا في محجريهما ، كلما ازدادت لهفته ..

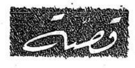
بينما غامت عينا الام ، ودار راسها لشدة ضعفها وهزالها ... وتاوهت ، مناجية زوجها الغائب ... ولم تقو على اخراج الالفاظ ، ولئن ظلت على حالها ، كانها تقول ان قلبها مضطرب ، ولا تدري علة لذلك ، بل لم يدخل في روعها انها مريضة ، سقيمة الجسم ، لان كل من هم على شاكلتها ، ومن يكدحون مثلها لا يختلفون عنها في شيء ... اذن فقلبها ياكلها على زوجها ، وتخشى على حياته أكثر من خشيتها على نفسها ، لانه اذا كان عليها فلتذهب حيث تجد راحتها



بقلم محمد حسين

الابدية ، وتناى عن الشقاء الذي يلازمها في حياتها النكدة ، بل انها تؤثر ذلك مئات المرات ، على الا تسمع سوءا عن زوجها ، حيث انها تعلم الكثير عن حياة عمال التراحيل المترعة بالمرارة ...

فقد كان يروي لها ــ كعادته ــ ملمات حياتهم ، كلما عاد اليها ... ولم تتمن هذا الا لكونها تعلم ان زوجها يشقى من اجلها ... وما يمكن ان يحدث ــ صباح غد ــ في السوق ، فهي لا تملك الا ان



تحافظ ما استطاعت على ثمن الجرة ، اذا ما هي حصلت عليه ..

ولم تفكر فيما يمكن ان يحدث لها اذا ما ركبت سيارة الاتوبيس العتيقة ، التي يقودها السائق العجوز ابو سيد على الطريق المترب الرهيب من قرية الشواشنة الى ابشواي ... ذلك الطريق الوعر ، الذي يزيده خطورة تلك السيارة الضخمة الصامدة ، التي يخيل لكل من يركبها ان سقفها سينزلق عنها حالما تاخذ في الصعود ، او الهبوط الى مكان ما ...

تململت ام قرنى ، وكانت تغفو ، فانتبهت ، اذ لم يطرق عليها بابها احد ... ولما طال بها الانتظار التقطت قدرا صغيرا ، ومضت الى الجدول ، فملاته ، وعادت ، ثم غمست قطعتين من الخبز الجاف في بعض الماء ، وتجاسرت ، فمسحت حلق الجرة ، بعدما اغترفت قليلا من المش ، وتناولت بصلة ، جاءت لسوء حظها حارة ، جعلت الدموع تطفر من عينيها ، ثم اخذت تزدرد عشاءها ، وهي تقبض على معدتها من حين لآخر بكلتا يديها ، لعلها تخفف من الالم الذي يعتصرها من جراء ذلك الطعام الرئيسي ... وجرعت من الماء كثيرا ، لتطفىء النيران التي اندلعت في جوفها ، ولتزيل الملح الاجاج من فمها ... وما ان فعلت ذلك حتى ارتمت مهدودة ، مستسلمة للنوم والالم ، وابنها لا يزال ملتصقا بها ، يسترجي ثدييها الجاف ...

نهضت مبكرة في صباح اليوم التالي ، وهي تتاوه لفرط ضعفها . متحسسة آثار الحصير على جسدها كجراح السياط ، ثم طوت قطعة الحصير المشبعة بالرطوبة ، والقت بها على سقف العشة الى ان تخرج الشمس . وهي الشيء الوحيد الذي لا يضن على المساكين امثالها بالدفء وشعاع الحياة ...

ثم اخرجت الجرة بحرص بالغ .

وهنالك ألفت يدها مبللة ، نجعلت تتفحص الجرة ، وتدور من حولها ... ولقد راعها ذلك الشرخ الذي اكتشفته وهي تدير الجرة في مواجهة الضوء ... ارتعبت من ذلك الشرخ ، وداخلها الخوف ، وهي تمسح ما نضح منه بيد مرتعدة ، ثم وقفت منتصبة ، تتلفت من حولها ...

وفيما هي كذلك اذ بها تلمح جارها الاعرج يحاول اللحاق بكلب اختطف رغيفه الذي كان يلينه على النار ، فنادته ليعاونها على رفع الجرة الى راسها ، ثم حملت ابنها، ومضت في طريقها الى الجسر، الذي ما ان بلغته حتى الفت السيارة تهدر ، في طريقها اليها ..

وركبت بمعاونة بعض الفلاحين المكتظة بهم السيارة ، الذين كانوا في طريقهم الى سوق الثلاثاء بالبلدة، وتنفست بارتياح يشوبه الخوف عندما رنت الى الشرخ الذي وضح لها اكثر من ذي قبل ... وكانت قد افترشت ارض السيارة المزدحمة ، ولتحافظ على توازن الجرة المشروخة فقد امسكت باذنيها ، وعيناها مسلطتان على الخط الذي ينضج منها ، وتزدادان اتساعا ، وينفغر فمها كلما ارتطمت السيارة في مطب من مطبات الطريق ...

بل انها لتكاد تحس بذلك الشرخ، وكانه يزداد اتساعا وتمزقا في قلبها هي لا في الجرة ... فقد كان الامل يحدوها في ان تصل بها الى السوق سالمة .. آه ..! لو تحقق هذا الامل ، فانها حينئذ ستشتري رغيفين من خبز المدينة الطري ، وستشتري طعمية ساخنة ، طازجة ... وتحلب ريقها ـ رغم جفاف حلقها لذلك الامل ... ورنت بعين خيالها ، حيث ترى زوجها العائد من التراحيل ، بعد غيبة تنيف على العام قد افترش الارض تحت شجرة وارفة الظلال، وراحا يتناولان الوجبة السخية ، المؤلفة من الطعمية ، والعيش الطري في نهم والتذاذ ...

وزمجرت السيارة ، وارتفع هديرها ، وابتلع الفلاحون المكدودون مزيدا من غبار الطريق ، الذي ملأ جوف السيارة ، فاضطربت رئاتهم ، وسعلوا سعالا حادا ، وتصبب العرق من الوجوه المتقعة المريضة ...

وانه للطف من السماء بصاحبة الجرة ان السيارة كانت مكتظة بالركاب ، زاخرة بالاشياء ، مما جعلها تتهادى في مشيتها ، رزينة في سيرها ... والا لكانت الجرة قد تصدعت تماما ، قبل ان تصل الى ابشواي ...

وامسك الركاب بقلوبهم ، عندما انحدرت السيارة بهم لتعبر قنطرة بحر البنات ... واوشك قلب صاحبة الجرة ان يتوقف لفرط اضطرابه ... ثم عرجت السيارة الى الطريق الضيق ، المنحوت بجانب المجرى الصغير ، المنحدر صوب بحيرة قارون العجيبة ، حيث اخذت بعد ذلك في الصعود ، لتعتدل في الطريق ...

ووصلت السيارة الى ابشواي ، فتدافع الركاب بالمناكب ، ليلحقوا بسيارات الاجرة الصغيرة ، بعد ان امتلأت رئاتهم بالغبار الاصفر ، وسعلوا ما فيه الكفاية ، وسال العرق منهم ما شاء له ان يسيل ..

وانتقلت ام قرنى بجرتها المشروخة ، وابنها الى سيارة صغيرة حملت بما لا طاقة لها عليه : كمثيلاتها ... اجولة على المقدمة ، واقفاص وسلال من اعلى ، بينما تعلق على جوانب العربة من لم يستطع أن يحشر بداخلها ، الى ان اصبح ما تحمله يضارع ما تحمله السيارة الاتوبيس ...

كل هذا لم يمنع السيارة الصغيرة ، المكتظة من ان تقفز ، وتهوي في المطبات بلا رحمة من سائقها المسرع باقصى ما يستطيع ، غير حافل بحياة البشر المرروري النفوس المختنقي الانفاس ...

ولشد ما فزعت صاحبة الجرة عندما استطاعت ان تنفذ بيدها من بين الاجساد المتلاصقة ، حيث شرخ جرتها ، فالفته مبللا بشكل اثار في نفسها الرعب ... فقد تصدعت الجرة لطول ارتطام السيارة بمطبات الطريق المغبر .. وناشدت السائق ليسير على مهل ، لكن هيهات ، بل زاد الاخير من سرعته ، وازداد تصدع الجرة ، مع انها مربوطة بالطرحة البالية منذ هبوطها في ابشواي ...

ونفذت رائحة المش القديم الى خياشيم الفلاحين فاستساغوها ، ولعلها أفزعتهم ، لانهم كانوا يتوقعون اشتمام شيء آخر ، غير مالوف لديهم عندما بلغوا مدينة الفيوم ... بينما فضلت صاحبة الجرة رائحة الطعمية الطازجة على تلك الرائحة التي افعمت العربة ..

توقفت السيارة ، وارتفع صدرها عندما أفرغت ما في جوفها.

وهبطت صاحبة الجرة ، حيث القت ابنها على الارض ، ثم حملت الجرة على رأسها بمعاونة السائق ، وفيما هي تدلف الى السوق ، اذ بالجرة ينشق بطنها ، فأفرغت ما في جوفها ، واغرقت صاحبتها ، التي شهقت شهقة هائلة ، وسقطت وهي على قيد خطوات من السوق.

القاهرة — محمد حسين



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

***

ليعتبر بنو الانسان

كان المجلس حافلا ..

وذلك حين دخلت غرفة الضيوف في منزل صديقي الذي تعودت ان ازوره على غير ميعاد ، فاصيب عنده الحديث الممتع ، والجلسة الهادئة ، وفنجان القهوة الطيب الشذي الذي يوشك ان يكون وقفا عليه ، اذ تعده زوجته طبق مواصفات خاصة به ، يابى — كل الاباء — ان يطلعني عليها ، حتى لا يحولني ذلك — فيما يزعم — عن التردد على مجلسه والاقبال عليه بين حين وآخر ..

ورايتني اتهيب الدخول ..

وذلك لما لمحته في المجلس من جدية الموقف ، واقبال من فيه من الجلوس على صاحبي يصغون اليه ، وهو يتحدث باسلوبه البارع ، الذي لا يخلو — كما عهدته — من التشبيه البديع والمثل المحكم ، والطرفة التي تلائم الموقف دائما ..

واوشكت ان اعود من حيث اتيت ، لولا ان صاحبي لمحني في ترددي ذاك ، فهب يستقبلني ، وافسح لي مكانا الى جانبه على المقعد الكبير ، وهو يرحب بي ويقدمني الى من حوله بعد ان عرفني بهم . فجلست اومىء اليهم بالتحية واهمس له شاكرا . ثم التزم الصمت تقليدا لمن في المجلس ممن كانوا ينصتون الى حديثه وهو يمضي في ثناياه الى غايته ..

وسمعته يقول :

« وكان العدو فاجرا لا يعرف تقوى الله ، ولا يقيم وزنا لما يستحق عليه للاخرين من واجبات وحقوق ، وبعد محاورة ومداورة ، استطاع ان ينزل القرية التي كان يعمد اليها ، فيستبيح ملك من بقي من ساكنيها ، ليخلص له وحده على الرغم من اصحابه وذويه ، ويكون هو المالك المتسلط الذي لا ينازعه منازع فيه .

ويتنمر له اصحاب القرية ..

ويوطدون العزم على مصاولته في تمزيق باطله الذي فرضه عليهم ، ومجاولته في كل ميدان ينبري لهم فيه ، ويعتزمون ان يخوضوها معركة طويلة الامد بعيدة المدى ، لا يلقون فيها السلاح ما داموا يملكون الايدي التي يمسكونه بها ، ويشرعونه في وجهه .

واحس عدوهم بذلك ..

فلم يدع وسيلة من وسائل الحيلة والخديعة الا ولجا اليها ، وحاول ان يبث الفرقة بينهم ويذكي الفتنة ، وحاول ان يوقظ الخلاف والشحناء ، ليمزق بها الصف الواحد ، ويجعله ضعيفا لا غناء فيه ، اذا ما اندفع اليه بما يملكه من سلاح الغدر ، فيتهاوى بين يديه ممزقا .. ثم لا تقوم له بعد ذلك قائمة ابدا ..

ولم يكتف بهذا ..

فهو يؤلب عليهم القريب والبعيد ، وهو يثير ضدهم القاصي والداني ، وهو يحشد لهم الاعوان والاتباع والمؤيدين ، وهو يجمع من انواع السلاح كل مشروع وممنوع ، ليجابههم بذلك كله ، اذا ما وجد الفرصة مؤاتية ، والوقت ملائما ، والظرف مناسبا ..

وليس ذلك فحسب ..

فهو يتظاهر بحسن النية ، وهو يغار على القرية واهلها ، فلا يرضى ان تطاها قدم غريبة ، تحمل اليها المبادىء الهدامة ، والمطامع الاشعبية ، فتعكر بذلك الامن والصفاء فيها : وتجلب لها المتاعب ، وهو جزء منها : وجار لساكنيها ، ومن اجل ذلك فهو يغار عليهم ، ويحرص على ان يجنبهم الشرور ، ويبعد عنهم كل ما يجلب لهم المتاعب والاذى ..

ثم تراه الى جانب ما تقدم ..

يمثل دور اللص الذي ضبطه صاحب البيت متلبسا بجريمة السرقة ، فرفع عقيرته ليستنهض الناس الى انقاذه من تصرفه اللاانساني ، حين اشهر عليه سلاحه على نحو يخالف القانون ، وانتهره معنفا على نحو يخالف العرف والتقاليد المرعية ، متناسيا انه لص : وان من حق صاحب البيت ان يلقي عليه القبض باية وسيلة تمكنه من

ذلك ، ويسلمه لرجال الشرطة لينال عقوبته التي يستحقها .. » .

وحين بلغ صديقي هذا المدى ..

رايتني اعترضه ـ حين لم اجد غيري يفعل ذلك ممن كانوا حوله يستمعون اليه ، فاقاطع حديثه الذي كان يتدفق به كالنهر الجارف : لاستعلم منه عمن يتحدث ..

فرد علي قائلا :

« انك لم تكن عند بداية الحديث ، لتعلم بان ما اتحدث به انما هو مثال اضربه على واقعنا مع العدو ، وقد سبقه من كلامي ما يمهد له، ويأتي مقدمة بين يديه.. »

وذكرني ما سمعته بعزيز ..

ذكرني بامتنا الماجدة ، التي كان لها من العزة والانفة واجتماع الكلمة ما تحفظ به حماها عزيزا مصونا من كل عدوان ، رغم اتساع هذا الحمى ، وامتداده الواسع من بحر الظلمات عند شواطيء الاطلسي ، الى مشارف الصين في بلاد التركستان ، وبذلك لم يكن لافاق مغامر ان يجد الفرصة الملائمة ليتسلل معها الى هذا الحمى ، ويستقر له المقام فيه ، حتى يدعى ملكيته ، ويفرض نفسه على من حوله مواطنا ، له في وطنه الذي اغتصبه منهم مثلما لهم في اوطانهم من الحقوق ..

كما ذكرني ما سمعت ..

بعبد الله بن المقفع في كتابه « كليلة ودمنة » ، الذي تضمن قصصا على السنة الحيوان ليعتبر بها بنو الانسان، ثم ذكرت من هذا الكتاب قصة الفيل الباغي ، الذي داهم صغار الطير في اوطانها ، ووطيء اكنانها واتلف بيضها ، واهلك صغارها ، وحين اجتمعت اليها امه الطير ، فقأت عينيه ، وما زالت به حين ادركه العطش حتى اوقعته في وهدة من الارض ، لقي فيها مصرعه ..

وقلت في نفسي :

ترى هي عجز المئة مليون عربي ان يصنعوا ما صنعته امة صغار الطير ، حين اجتمعت كلمتها وحطمت الفيل الباغي ، رغم ضخامة هذا الفيل، وضآلة ذاك الطير؟

السر الخطير

الذين يمارسون الكتابة ..

لا بد لهم من المطالعة ، والمطالعة المستديمة ، ما داموا يعتزمون ان يستمرو صعدا في هذا النهج الذي قصروا انفسهم عليه ، وما داموا يحرصون على ان يكون هذا الذي يكتبونه ذا مغزى ، يحفز القاريء على ان يتحرى ما فيه ، ويتابع حلقاته وفصوله .

وفي رأيي ..

ان المطالعة نوعان : نوع تكون الغاية منه الاطلاع ، ونوع آخر تكون الغاية منه الاستمتاع . والاديب الذي ادركته مهنة الادب في مختلف ابعادها ، يجد ـ في كلا النوعين ـ ما يفيد منه ويقف عنده . ولعله في بعض الاحيان يقف وقفة اعجاب وتقدير حيال موضوع بعينه ، او ـ ربما ـ حيال فقرة بعينها ، بينما لا يقف مثل هذه الوقفة حيال كتاب باكمله ، ما دام لا يجد فيه ما يدعو لمثل هذه الوقفة .

ولست اكتب ـ دائما ـ عن هذا الذي اقف عنده فيما اقرا ، ولكني ادون في مذكراتي ما يعيدني اليه اذا ما التمست موضعه حيال ما قرات .

وفي الامس ..

كنت اراجع هذه المذكرات ، فاذا بي اقف عند كتاب امير المؤمنين « عمر بن الخطاب » الذي توجه به الى امير الجيش في القادسية « سعد بن ابي وقاص » ، يوصيه ويحذره ، وقال فيه :

« وعليك بالنظر في سواد جندك ، فانكم اذا جانبتم تقوى الله ، ماثلتم بذلك عدوكم ، فكاثروكم بعددهم .. فغلبوكم .. » .

ولم تكن وقفتي حيال هذا الكتاب وقفة اعجاب وتقدير ، بل كانت وقفة ذهول ودهشة واكبار . فلقد رايت هذا الرجل العظيم قد ادرك بثاقب نظره ، مفتاح السر الخطير في احراز النصر ، فنبه اليه قواده وجنوده ، فكان لهم من الانتصارات المدوية ما ملأوا به صحائف التاريخ ، ففتحوا رقعة من الارض ، تزيد على رقعة وطنهم الذي خرجوا منه مرات ومرات .

انها تقوى الله اذن ..

وتقوى الله في حقيقتها وجوهرها ، وليس في ظاهرها من صلاة وصيام وفرائض دونما سواها . وهي التي ينتهي صاحبها معها عن الفحشاء والمنكر والبغي ، فلا يكون المسلمون معها ـ في نظره ـ فئات يفضل بعضها بعضا وفرقا تحوز الخير اليها وحدها دون غيرها .

اجل ، انها تقوى الله ..

بل هي الايمان في واضح مدلوله ، وهو احوج ما يحتاج اليه الجندي حين يضع قدمه في طريق الشهادة، او حين يضع قدمه في طريق النصر ..

عمان ـ الاردن　　　　محمد سليم رشدان

سأم

انست بوحدتي وسئمت حتى
معاشرتي لاصحابي واهلي
فلو اني استطعت هجرت روحي
ولو اني قدرت سحقت ظلي

بغداد　　　　باقر سماكة

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

توفيق كنعان - قاسم الريماوي
صبحي طاهر الدجاني

بقلم البدوي الملثم

***

١ ـ الدكتور توفيق كنعان

ولد « توفيق » في بلدة « بيت جالا » بفلسطين عام ١٨٨٢ وكان والده بشارة كنعان قسا ، وأتم « توفيق » دراسته الابتدائية في بيت جالا ثم انتقل الى « دار الايتام السورية » المعروفة باسم « مدرسة شنلر » في القدس حيث انهى تحصيله الثانـوي وقضى ثلاث سنوات ونصف السنة في دار المعلمين ثم التحق بـ « الكليـة الانجيلية السوريـة » المعروفة بـ « الجامعة الامريكية » في بيروت وتخرج طبيبا عـام ١٩٠٥ وبعد تخرجه عمل مساعدا في المستشفى الالماني وفي المستشفى الانكليزي وفي مستشفى شعار صادق بالقدس وطبيبا في بلدية القدس .

وخلال (١٩١٢ ـ ١٩١٤) درس علـم الجراثيـم والامراض الاستوائية مع الدكتور مولنز ، وامراض الدرن مع البروفسور موخ ، واصبح رئيسا لدائرة الملاريا التابعة لمكتب الصحة العالمي ، وفي الحرب العالمية الاولى ، اي ما بين ١٩١٤ و ١٩١٨ عمل طبيبا في الجيش التركي بالناصرة ورئيسا للمختبرات الطبية ابتداء ببير السبع جنوبا وانتهاء بولاية حلب شمالا ، وبعد الاحتلال البريطاني ـ الفرنسي وتقلص ظل العثمانيين عن البلاد العربية مارس الدكتور كنعـان الطب في القدس في عيادة خاصة به ، بالاضافة الى عمله طبيبـا لمستشفى البرص من ١٩١٨ حتى ١٩٢٧ والى رئاسته لدائرة الطب الباطنـي في المستشفى الالماني بالقدس ، ونشر مقالات صحية قومية في مجلـة « الكليـة » ببيروت ، ومنها مقال قيم بعنوان « الصحة اساس الحيـاة القومية » واشتهر كاقدم طبيب عربي في مدينـة القـدس وكاخصائي في امراض البلاد الحارة والقلب والصدر ، وكان يحسن ست لغات هي : العربية والالمانية والانكليزية والفرنسية والتركية والعبرية .

وبعد النكبة التي عصفت بعرب فلسطين في شهـر ايـار ١٩٤٨ انتدبته « الجمعية الطبية العربية » كبيرا للاطبـاء في المستشفيات العربية والمستشفى الروسي ومستشفـى الهوسبيس النمسـاوي ومستشفى اليعازرية ومستشفى بيت لحم . وفي اعقاب عام ١٩٤٨ بدأ عمله مع « الاتحاد اللوثري العالمي » واسس خمس عيادات نيابة عـن ذلك الاتحاد في كل من بيت جالا والخليل والطيبة واليعازرية « بيـت عنيا » والقدس ، وفي عام ١٩٥٠ تسلم ادارة مستشفى اوغستا فكتوريا الالماني بالقدس وعين مديرا طبيا له حتى ربيع ١٩٥٥ .

اما نشاطات الدكتور كنعـان الاجتماعية فقـد انتخب لـثلاث مرات رئيـسا لـ « جمعية الشبان المسيحية » بالقدس فعضوا دائما في مجلس ادارتها فعضو شرف طيلة حياته . وقد اسس « الجمعية الطبية العربيـة » في فلسطين وكان رئيسها ومحررا لمجلتهـا التـي كانت تصدر باللغة الانكليزية مدة سبع سنوات ، وكـان امين سـر « جمعيـة المستشرقين الفلسطينية » وعضوا في « مدرسة الابحـاث الشرقية » بالقدس ونشر في مجلتها سـلسلة من المقالات بالانكليزية وكلها تدور حول الامثال العربية التي تتناول « الكلب » ، وكان ذا اهتمام كبير بعلـم الاثار والفولكلور الشعبي في الشرق الاوسط وبالتطـور السياسي في فلسطين ومشاكلها .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية سجن مع قرينته وشقيقته في سـجن عكا بتهمة الدعاية لالمانيا الهتلرية ثم نقل ثلاثتهم الـى المعتقل خارج عكا وبعد شهور ثلاثة افرج عنهم !

لم يله الطب ومغرياته الدكتور كنعان عن التفكير بوطنه المغصوب وبالمخططات التي يعدها الخصم لتهويده وازدراده ... بل ظل يفكـر بفلسطين ومستقبلها الاسود الفاحم ، فكتب عشرات المقالات في كبريات الصحف الالمانية والانكليزية والفرنسية ، مدللا علـى النوايا السيئة التي بيتها الانتداب والصهيونية معا للبلاد المقدسة كما صنف الكتب حول ظلامة وطنه . وامتد اهتمامه ببلاده الى القضايـا التاريخية في فلسطين فكان اول من نبه العرب الـى اهمية « النقب » في فلسطين وخطورة موقعه الاستراتيجي وقيمته الزراعية ، وكان ينشر بحوثه عـن هذه المنطقة الفلسطينية الهامة في مجلة « الكلية » التي كانت تصدر عن الجامعة الاميركية في بيروت .

ولقد اثبتت الايام اهمية « النقب » بالنسبة للسلطات الاسرائيلية وذلك انها عندما وقفت على المقترحات التـي قدمها الكونت برنادوت الوسيط الدولي لتسليم « النقب » الى العرب بادرت الى العصابات الصهيونية الى اغتياله في حي القطمون بالقدس بتاريـخ ١٧ ـ ٩ ـ ١٩٤٨ وبذلك اجهزت على مشروعه .

من آثاره القلمية : صنف الدكتور كنعان طائفة من الكتب باللغات الانكليزية والالمانية والفرنسية ومن الكتب التي وقفنا عليها بقلمه :

١ ـ الموت ام الحياة (وضعه بالانكليزية وترجم الـى العربية والفرنسية) طبع عام ١٩٠٨ .

٢ ـ الطب الشعبي في أرض الكتاب المقدس (وضعـه بالالمانيـة وطبع في هامبورغ عام ١٩١٤ وسرعان ما اصبح مرجعا هامـا في هـذا الموضوع) .

٣ ـ المسلمون ومقدساتهم (من أهم الكتب التي صنفها الدكتور كنعان وظهرت باللغة الانكليزية) طبع عام ١٩٢٧ .

٤ ـ قضية عرب فلسطين (وضعه بالانكليزية ونقله الاستاذ موسى سلامه الى العربية) طبع عام ١٩٣٦ .

٥ ـ الصراع في أرض السلام (وضعه بالانكليزية) طبـع عـام ١٩٣٨ .

ونشر الدكتور توفيق كنعان ما يربو عـلى ستين بحثا علميا في المجلات الطبية الاوربية كما كتب اكثر مـن خمس وثلاثين مقالة عـن الفولكلور عند العرب وعددا من المقالات التي تتعلق بالمشاكل السياسية في فلسطين . ودونك ابرز ما وقفنا عليه من تلك المقالات :

(١) النور والظلام في التراث الشعبي الفلسطيني ، (٢) عقيدة الفلسطينيين المعاصرين بالله وطريقة ممارستها ، (٣) جبـة حلب ، (٤) البيت العربي الفلسطيني : بناؤه وتراثه الشعبي ، (٥) علـم النبات في الخرافات الفلسطينية ، (٦) عـرب الصقر في بيسان ، (٧) دراسات في طوبوغرافية البتراء ، (٨) وثيقتان تتعلقان بتسليم القدس ، (٩) الشرائع غير المدونة عن المـرأة العربية في فلسطين ، (١٠) الماء وماء الحياة في الخرافات الفلسطينية ، (١١) المشكلـة الصهيونية وازمة فلسطين ، (١٢) طاسات الرعبة العربية ، (١٣) التهاب السحايا الدماغية الشوكية في القدس ، (١٤) طرق القوافل البيزنطية (١٥) الطفل في الخرافات العربيـة الفلسطينية ، (١٦) عـدوى الجذام ، (١٧) اللعنة في التراث الشعبي الفلسطيني ، (١٨) حـل رموز الطلاسم العربية ، (١٩) الينابيع المسكونة والشياطين المائيـة في فلسطين .

نموذج من نشره : « كان السكان العرب في فلسطين ، وكذلك في شرق الاردن وسورية والعراق ، ينظرون قبل الحرب الكبرى الى كل بريطاني وكأنه تجسيد للعدالة والمروءة والشرف ، ولم يكن لاي عربي من امنية سوى ان يخلع النير التركي عن عنقه ، فلما قطعت بريطانيا العظمى على نفسها عهدا للملك حسين بن علي ، هبت الامة العربية كلها في وجه الاتراك ، وساعدت القضية البريطانية مساعدات مباشرة وغير مباشرة ، لكن بريطانيا العظمى نكثت عهدها ، وداست بقدمها اقدس اماني العرب ، وقد فعلت ذلك من اجل اليهود ، على الرغم من الحقيقة التاريخية التي تعطي العرب اولوية حاسمة في الضمانات التي قدمتها بريطانيا لتامين تعضيدهم لها في الحرب » (جريدة ديلي ميل ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٢٦) .

وزادت بريطانيا العظمى على ذلك انها اغفلت العمل بالمشورة التي قدمها الخبراء البريطانيون ، لان تلك المشورة جاءت في صالح العرب ، فقد صاغوا انظمة جديدة لاخماد نار العرب ولمنع المهاجرين العرب ـ وقد كانوا رعايا عثمانيين ـ من الحصول على الجنسية الفلسطينية التي كانت جنسيتهم الطبيعية . وسمحوا لمئات الالوف من المهاجرين اليهود بدخول فلسطين وسهلوا لهم شراء الجانب الاكبر من اخصب اراضيها ، وقد مر الآن ثمانية عشر عاما على بدء هذه التجربة الفظيعة وازداد الوضع حرجا عاما بعد عام . ومن دواعي العجب ان كل عربي ، مسلما كان او مسيحيا ، بدويا او فلاحا او مدنيا ، متعلما او اميا ، اخذ يشعر بان هذه السياسة القاتلة تهدد حياته ووجوده نفسه ، ومن عجب ان كل واحد قد اصبح يمقت هذه السياسة غير الانسانية ويعمل كل ما في وسعه لتغييرها .

ونحن المسيحيون العرب الفلسطينيون الذين حصل معظمنا تعليمهم في مدارس بريطانية وصرنا اكثر الفلسطينيين تعلقا بالشعب البريطاني ، معجبين بالعدل البريطاني والاداب البريطانية والسياسة البريطانية ، اصبحنا الآن اشدهم مقتا وكرها لسياسة بريطانيا المنافية للروح المسيحية . والهياج الحالي ، شانه شان كل هياج سابق له ، ليس ثورة يثيرها اشخاص يسمون زعماء ، لمجرد السعي لاسترداد نفوذهم المفقود ، بل هو فورة تلقائية عارمة وحدت جميع العرب ضد الظلم الذي حل بهم وجاوز طاقة احتمالهم ، وتقرير هيكرافت يقول صريحا بهذا الصدد في الصفحة ٥) « انه لا سبيل الى دعم الاتهام اليهودي بانه لولا تحريض الوجهاء (الافندية) والشيوخ لما قامت الاضطرابات » وتتابع القراءة في الصفحة ذاتها « لم تكن اضطرابات يافا عام ١٩٢١ مخططة ولا مرتبة قبل وقوعها من قبل العرب » .

ليس الوعد بايفاد لجنة ملكية للتحقيق في ظلامات العرب سوى جرعة دواء لتخدير العرب . فماذا نجم عن تقارير لجان هيكرافت وشو وجونسون وكروسبي وجون هوب سمبسون ؟ ولماذا الغي الكتاب الابيض برسالة المستر ماكدونا لدى الدكتور وايزمن ؟ وكيف يجوز لاحد ان يتوقع من العرب ان يثقوا باللجان ؟

لسنا نكره الشعب البريطاني ، على الرغم من الظروف الدامية الراهنة في فلسطين ، لكنا نكره السياسة المفروضة عليهم فينفذونها بالحراب لاجل اليهود. وليس فقدان الثقة هذا في السياسة البريطانية دافعا للتعاطف مع اية امة اوربية اخرى ، او مقللا من اعجابنا بالشعب البريطاني ، فنحن نعرف ما يقوله اد. ج. براون « لسنا نعتقد ان شعب بريطانيا العظمى مسؤول عن الخيانة التي اصابتكم » ونعرف ان قوله هذا صحيح ، ونحن نفخر بان نعرف « ان في انكلترا شعورا واضحا بان الساسة قد خانوا الشعب العربي بصورة تدعو للاشمئزاز» (فلسطين وشرق الاردن ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٣٦) .

وفي عام ١٩٥٥ اعتزل الدكتور كنعان الخدمة في القطاع الانساني وعاش الى يوم وفاته بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٦٤ في بيت البستاني القائم على ارض في مستشفى اوغستا فكتوريا بجبل الزيتون في المدينة المقدسة ؟

٢ ـ الدكتور قاسم الريماوي

ولد « قاسم » في قرية « بيت ريما » من محافظة رام الله بفلسطين عام ١٩١٨ وانهى دراسته الابتدائية والاعدادية والثانوية في الكلية الرشيدية والكلية العربية بالقدس ، وبعد حصوله على الشهادة الثانوية عام ١٩٣٦ عين محاسبا في دائرة البريد العامة وظل في عمله الحكومي هذا لغاية عام ١٩٤٤ اذ انتخب مديرا عاما للحزب العربي فمحررا لجريدة « الوحدة » المقدسية (١٩٤٥ ـ ١٩٤٧) وفي العام الاخير شرع في تنظيم وتاليف قوات « الجهاد المقدس » مع الشهيد المرحوم عبد القادر الحسيني ، وكان الهدف من تاليفها الاعداد لتحرير فلسطين بعد انحسار ظل الانتداب البريطاني عنها ، وكانت قوات « الجهاد المقدس » تتالف من متطوعين فلسطينيين ومتطوعة دخلوا البلاد من الاقطار الشقيقة المجاورة ، وقد عين « قاسم » امين السر العام لها وكانت هيئة قيادة « الجهاد المقدس » برئاسة المرحوم عبد القادر الحسيني المسؤول بدوره عن لواء القدس والمرحوم حسن سلامة المسؤول بدوره عن القطاع الاوسط (يافا) وابو ابراهيم الصغير وابو محمود الصفوري المسؤولين بدورهما عن المنطقة الشمالية .

وبعد استشهاد المرحوم عبد القادر الحسيني عين « قاسم » رفيق الدرب وشريك الجهاد قائدا لمنطقة القدس ورام الله وخلفا له في مركز قيادة « الجهاد المقدس » في بيرزيت . وفي عام ١٩٣٦ اتهم بمقتل الماجور سيكرست مدير بوليس القدس ، فسجن وعذب ، لكن بعد ان ثبتت براءته اخلت السلطات البريطانية سبيله .

وخلال اشراف « قاسم » على قيادة « الجهاد المقدس » جرت المعارك التالية :

١ ـ معركة راس العين : بعد جلاء الانكليز عن لواء القدس احتل « قاسم » راس العين التي تزود بيت المقدس وضواحيها بالماء ، وظلت هذه العين بيد قوات « الجهاد المقدس » الى ان احتلها الجيش الاسرائيلي لم استردتها منه قوات الجهاد واستشهد في هذه المعركة المناضل المرحوم حسن سلامة . ولما دخلت القوات العراقية فلسطين كان « قاسم » مسؤولا عن قوات « الجهاد المقدس » .

٢ ـ معركة باب الواد الكبرى : كانت هذه المعركة تهدف الى احتلال القدس قبل حلول موعد جلاء القوات البريطانية عن فلسطين بتاريخ ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ وقد امتدت هذه المعركة من اللطرون ـ يالو ـ حراج باب الواد ـ القسطل ـ بيت محسير ـ دير ايوب ـ النبي صمويل ، وظلت مستعرة اللظى من (٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨) الى (١٤ ـ ٥ ـ ١٩٤٨) وكانت اكبر معركة فاصلة من المعارك التي دارت رحاها عام ١٩٤٨ وخاضتها قوات « الجهاد المقدس » ، وفيها مني اليهود بخسائر فادحة ووضع بعض كتائبهم اثنين وعشرين مؤلفا عنها ، وكان يديرها قادتهم الحاليون .

٣ ـ معارك قلندية والنبي يعقوب والقسطل : كان « قاسم » الى جانب المرحوم عبد القادر الحسيني في سائر المعارك التي خاضها في فلسطين وكان ضابط ارتباط بين اللجنة العسكرية بدمشق برئاسة المرحوم طه الهاشمي وبين قيادة « الجهاد المقدس » وقد تولى نقل الاسلحة الى فلسطين عبر الاردن وشمال فلسطين ، واشترك مع المرحوم عبد القادر الحسيني في تنظيم خلايا قوات « الجهاد المقدس » قبل بدء العمليات العسكرية .

وبعد ان دخلت القوات العراقية فلسطين عام ١٩٤٨ كان «قاسم» مسؤولا عن قيادة قوات المتطوعين في قطاع بيرزيت والمنضمين للجيش العراقي ، وكانت هذه القوات معسكرة من باب الواد الى منطقة كفرقاسم .

وقبيل التوقيع على اتفاقية رودس الشهيرة انسحب « قاسم » مع قواته من بيرزيت (بعد ان احتلها الجيش الاردني) الى منطقة الخطوط الامامية في عابود ورنتيس وجبال المنطقة الوسطى ، وبعدها

قصد دمشق فالقاهرة حيث منع من العودة الى الاردن وعين سكرتيرا عاما لحكومة عموم فلسطين التي تالفت في مدينة غزة عام ١٩٤٩ ، واكمل دراسته في الجامعة الامريكية بالقاهرة في عهد رئيسها الدكتور بادو . وفي عام ١٩٥٢ نال بكلوريوس بعلم الاجتماع بامتياز وكان ترتيبه الاول، وبعد تخرجه اختارته حكومة عموم فلسطين الناطق الرسمي باسمها في هيئة الامم المتحدة وهناك عمل مع ممثلي الوفود العربية في شرح قضية فلسطين والدعاية لها وكان المعلق اليومي من اذاعة الامم المتحدة للشرق الاوسط . وفي نيويورك دخل جامعة كولومبيا ونال منها شهادة « استلا علوم » بامتياز عام ١٩٥٤ كما احرز « جائزة ويلارد ستريت العالمية » وتابع دراسته في نفس الجامعة للحصول على الدكتوراه وحاز عليها عام ١٩٥٦ وكان موضوع الاطروحة التي قدمها « التحدي الصناعي في مصر » .

وخلال اقامته في الولايات المتحدة نشر سلسلة مقالات في جريدة « البيان » لصاحبها الوطني المؤمن راجي الظاهر واسس « اتحاد الجمعيات الاسلامية في امريكا وكندا » وكان يعقد مؤتمرات سنوية عامة تستمر اسبوعا ويشترك فيها كبار رجال الفكر ، وفي هذا الاتحاد تمثلت ٥٠٠ جمعية اسلامية .

وابان تجواله في امريكا الشمالية القى عدة محاضرات في النوادي والجمعيات حول القضية الفلسطينية ، وعلى اثر تاميم قناة السويس عقد مؤتمرا في فندق نيويورك الكبير حضره ممثلو الدول العربية والاسلامية واعيان الجوالي العربية ، واتخذ هذا المؤتمر قرارا بتاييد هذا التاميم باسم مئة الف امريكي متحدرين من اصل عربي . وبعد ارفضاض جلسات هذا المؤتمر عاد الدكتور الريماوي الى القاهرة كسكرتير عام لحكومة عموم فلسطين ، ثم عاد الى الاردن وعين مديرا عاما لمناجم شركة الفوسفات الاردنية وظل يدير شؤونها حتى اوائل عام ١٩٦٠ .

وفي عام ١٩٦١ انتخب نائبا في البرلمان الاردني عن منطقة رام الله واعيد انتخابه نائبا عن هذه المنطقة اربع مرات كان آخرها عام ١٩٦٧، كما انتخب رئيسا لمجلس النواب الاردني ، وخلال هذه الفترة تولى منصب الوزارة عدة مرات كان آخرها عام ١٩٧٠ واختير عضوا في اول لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وكان فيها المدير العام للدائرة العربية .

ورئس الدكتور الريماوي اول وفد برلماني اردني اشترك في الاتحاد البرلماني الدولي المنعقد في كوبنهاغن عام ١٩٦٤ وانتخب الناطق الرسمي لوفود برلمانات الدول العربية التي شاركت في ذلك الاتحاد وكان احد نواب رئيس الاتحاد البرلماني الدولي .

وفي عام ١٩٦٤ تراس وفد منظمة التحرير الفلسطينية وكان قوامه السادة : الياس بندك رئيس بلدية بيت لحم ، ياسر عمرو ، جريس ابو رمان وغيرهم وزاروا جمهوريات : هندوراس ، المكسيك ، كولومبيا، البيرو ، فنزويلا ، الشيلي ، الارجنتين ، البرازيل وغيرها وعقدوا ندوات تلفزيونية ومؤتمرات صحفية واجتمعوا الى عدد من رؤساء الجمهوريات .

ورئس الدكتور الريماوي الوفد البرلماني الاردني للاشتراك في الاتحاد البرلماني الدولي المنعقد في جنيف عام ١٩٦٧ وانتخب الناطق الرسمي لوفود برلمانات الدول العربية التي شاركت في ذلك الاتحاد وكان احد نواب رئيس الاتحاد البرلماني الدولي .

وفي عام ١٩٦٩ انتخب الدكتور الريماوي في الوفد البرلماني الاردني للاشتراك في الاتحاد البرلماني الدولي المنعقد في فيينا وانتخب الناطق الرسمي لوفود برلمانات الدول العربية التي شاركت في ذلك الاتحاد البرلماني الدولي .

وبعد ارفضاض جلسات هذا الاتحاد البرلماني قام الدكتور الريماوي بزيارة لبلغاريا ورومانيا وبولونيا وتركيا لشرح القضية الفلسطينية والاتصال بساسة تلك الجمهوريات ، كما قام عام ١٩٦٩ مع وفد من رجالات فلسطين قوامه الاساتذة : انطون عطا الله ، روحي الخطيب (امين القدس) انسطاس حنانيا ، كمال ناصر وآخرون بزيارة لندن للاشراف على (اسبوع فلسطين الاعلامي) بالاشتراك مع النائبة العمالية السابقة السيدة مكاي ، وبعد الفراغ منه واصل الدكتور الريماوي والاستاذ روحي الخطيب رحلتهما الى باريس وجنيف وروما وعقدوا ندوات تلفزيونية ومؤتمرات صحفية لشرح القضية الفلسطينية وقابلا قداسة البابا بولس السادس في الفاتيكان .

وفي صيف عام ١٩٧١ قصد الدكتور الريماوي « بون » لحضور مؤتمر اتحاد البرلمانات الاوربية والقى امام المؤتمرين بيانات تتعلق بالتغييرات الاساسية التي طرات على البيئة في المناطق العربيه التي احتلتها اسرائيل وخاصة في مدينة القدس حيث قامت السلطات الاسرائيلية بتغيير معالم البيئة الانسانية والثقافية والحضارية للمدينة المقدسة بهدف محو الطابع العربي عن المدينة وتهويدها مرحليا عن طريق طرد سكانها العرب واسكان مهاجرين يهود مكانهم .

من آثاره القلمية :

١ ـ ناقوس الخطر (رواية وضعها بالانكليزية وقد تحدث فيها عن قضية اللاجئين الفلسطينيين) طبع عام ١٩٥١ .

٢ ـ الدولة والعمل ـ طبع عام ١٩٥٢ .

٣ ـ التحدي الصناعي في مصر ـ طبع عام ١٩٥٦ .

نموذج من شعره : قرض الدكتور قاسم الشعر طالبا ونائبا وسياسيا ، واحب الساعات لديه الساعة التي تنقل نشرات الصباح انباء يغتبط بها المخلصون من قومه . وذات يوم استقبلت فلسطين ، قبل نكبتها ، زعيما من زعمائها المبعدين فبعث الجو الوطني النشوة في نفس الدكتور الريماوي وانشا يقول :

اهاج سروري يا بني العرب ما ارى ... وثار شعوري من اشاوسة غر
اراهم جميعا كالبناء تراصصوا ... باجسامهم.. اما القلوب فلا ادري
فان كنتم والله متحدي القوى ... ومتحدي الآراء اجزل لكم شكري
وايقنت انا للقضية اهلها ... وانكم حصن البلاد بلا نكر
وان كنتم بالعكس كانت بلادكم ... قطائع للاعداء شبرا على شبر
اذا قلتم : ما الامر؟ فالامر واضح ... وليس سوى صهيون من حادث الدهر
رمونا بشعب خرر له لجانهم ... وراح « ترومن » يشدد في الامر
وجامعة الاعراب قد قر رايها ... بان قرار الخصم ليس سوى الحبر
وجامعة الاعراب مستها صدمة ... ستجني بعون الله منها جني النصر
فما شعب اسرائيل الا مشردا ... وما كان كل اثنين منهم من قطر
اتونا حفاة في عراء وذلة ... فكنا لهم بالصبر منشرحي الصدر
فهاجوا وماجوا واستباحوا بلادنا ... وقالوا: بنو الاعراب جرثومة الشر
الى كم نسام الخسف في عقر دارنا ... ونحمل دون الناس قاصمة الظهر
نقاد ببطلان الوعود لحتفنا ... وعند ورود الخير ننهل بالزجر
بربكم يا قوم هلا سمعتم ... بان فلسطين تئن من الضير
تنادي وفرط الحزن يدمي عيونها ... الي بني اليوم احملكم ثاري
حنانيك يا اماه صبرا فاننا ... سندرا عنك الضيم من ساسة الكفر
فهاكي فتى الاعراب شيخ بلادنا ... يقول بقول الله ان مع العسر
يصارح اعداء البلاد بقوله ... فلسطين ام العرب في السر والجهر

نموذج من نثره : « قوتان هائلتان متقاربتان متباعدتان تغمران عالمنا الحاضر ، انهما متقاربتان لان كل واحدة منهما تهتم بمصير الانسانية والمجتمع البشري باسره ومتباعدتان لان الفجوة بينهما قد زادت شقتها كثيرا فارتفعت الاولى ارتفاعا كبيرا وتخلفت الاخرى تخلفا مذهلا ، هاتان القوتان هما قوة التقدم الفني والعلمي التكنولوجي والثانية هي قوة الخلق والمثل العليا والمعنويات ، او هما قوة المادة وقوة الروح . الاولى تتمثل في الاختراعات العلمية والذرية التي تمكن الانسان بواسطتها امتلاك وسائل الدمار والفناء وحلق في الآفاق واصبح وجود الجنس البشري بكامله مهددا بالفناء والزوال في لحظات ، اما القوة الثانية ، وهي قوة الروح والمثل العليا فانها قد تجمدت

وتضاءلت واصبحت الفجوة بينها وبين القوة الاخرى سحيقة وبعيدة بحيث اصبح الخوف من استخدام الاسلحة النووية خوفا حقيقيا ، فان لم يكن للانسانية ضمير رادع وخلق مانع فان السلام والوجود باسره مهدد بالزوال ، وهنا تبرز اهمية التركيز على الروح والمثل وهنا يكمن سر ميل بني الانسان الى الاديان السماوية عنهما تستطيع ان تقف في وجه هذا التحدي الذي فرضه عصر الذرة على المجموعة البشرية والاديان السماوية سواء المسيحية او الاسلام او اليهودية مدعوة لمواجهة هذا التحدي مجتمعة ، فوجودها واستمرارها مهددان بخطر هذا التطور المادي المذهل ، وهذا الخطر يتهدد وجودها من اساس حقيقة الوجود ، من الاساس الذي تستند اليه الديانات بمجموعها وهي وجود الله سبحانه وتعالى ، هذا هو التحدي الذي يواجه الانسانية جمعاء والاديان مجتمعة ، وقداسة البابا يقع في موقع القمة لقيادة هذه القوى الروحية لان الفرد الاول الذي يرئس تنظيما دينيا له من ملايين الاتباع اكثر من غيره ، هذه هي رسالة قداسته في عصر الذرة واليه تستلف الانظار وعليه يقع حمل رسالة الخير والسلام، والمقياس الاول في نظري لعدالة المجتمع البشري في عصرنا هذا هو للقضية التي سجل بها هذا المجتمع ممثلا في الامم المتحدة ، مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذين اقتلعهم الصهاينة من الديار المقدسة والقوا بهم في الصحاري والجبال والوديان وحرموهم من ابسط حقوق الانسان وهو حقه في العيش في بيته وارضه بسلام وامان ، وحقه في عبادة ربه في مسجده او كنيسته ، فهم قد شردوا ولا ذنب لهم الا لانهم مسلمون او مسيحيون وليسوا يهودا ، ولا حل لمشكلتهم الا بعودتهم الى ارضهم ومساجدهم وكنائسهم التي عبدوا فيها الله هم واجدادهم الاف السنين . هذا هو المقياس الحسي الذي تقاس به عدالة المجتمع البشري الذي يستطيع قداسة البابا ان يؤدي دورا هاما في مجاله ، ولعل هذا ينقلنا الى الشق الثاني من السؤال : ما هو الدور الذي يستطيع قداسته القيام به في مشكلة الشرق الاوسط ؟

الحقيقة ان قداسته ابلغنا اثناء تشرفنا بمقابلته صحبة امين القدس انه لا يملك القوة ، واعرب عن أسفه وألمه للمأساة التي حلت باهالي القدس والاراضي المقدسة ، وانه لا يملك القوة المادية ولكنه يملك القوة الروحية فهو يتربع على عرش اكبر تنظيم ديني في العالم يعد اتباعه بعشرات او مئات الملايين ، وقداسته هو المسؤول الاول عن حمل رسالة كنيسة روما ودولة الفاتيكان ، ولكنيسة روما ودولة الفاتيكان التي تمثلها ، دور كبير في الاراضي المقدسة ، بل ان الصراع الحقيقي بين الصهيونية العالمية التي تحاول جر اليهودية العالمية وراءها وتجند الملايين في العالم وتتحكم في موارد مالية ضخمة ، كما تسيطر على جزء كبير جدا من مقومات الراي العام العالمي من اذاعة وصحافة وتلفزيون ، انها تسخر هذه القوى جميعها لخدمة عقيدتها التي ترتكز على اساس واحد هو ان الله سبحانه وتعالى هو اله شعب واحد هو الشعب اليهودي ، وكان اول من ثار على هذه العقيدة الاسرائيلية هو السيد المسيح عليه السلام الذي جاء ليهدي الخراف الضالة من بني اسرائيل ، وجاءت تعاليمه تبشر بان الله هو اله العالمين جميعا وان بني اسرائيل عصوا اوامره وتجاهلوه .

هذه هي الثورة الاولى على العقيدة اليهودية التي دعا اليها الاسرائيليون ، ولقد نجحت هذه الثورة وانتشرت في انحاء المعمورة واعتنقها مئات الملايين ، وجاء محمد صلى الله عليه وسلم مبشرا وداعيا الى اله واحد هو رب العالمين اجمعين . فالاسلام واتباعه يزيدون على ٦٠٠ مليون مسلم ، لا يعرفون في عقيدتهم ان الله هو اله شعب واحد !

٣ ـ صبحي طاهر الدجاني

ولد « صبحي » في مدينة القدس سنة ١٩١٠ وفي الرابعة من عمره اصيب بمرض التهاب السحايا وقد نجم عنه فقدان بصره ، وادخل « دار الايتام السورية » المعروفة باسم « مدرسة شنلر » وفيها تعلم الكتابة النافرة باللغتين العربية والانكليزية واكمل التعليم الابتدائي ، ثم التحق بـ « الكلية الاسلامية » سنة ١٩٢٥ التي انشاها المجلس الاسلامي الاعلى في بيت المقدس ، وكان التحاقه بهذه الكلية توطئة لدخوله الازهر الشريف ، لكن طموحه لتعلم اللغات الاجنبية حمله على دخول « الكلية الانكليزية » في القدس وهي المعروفة باسم (كلية الشباب) واحرز منها سنة ١٩٢٩ الشهادة الثانوية لجامعة اوكسفورد، وفي سنة ١٩٢٩ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت وكان اول كفيف تقبله هذه الجامعة بعد جهد مضن بذل في سبيل اقناع المسؤولين لقبوله طالبا في الجامعة ، وفي سنة ١٩٣٢ نال الجائزة الاولى من الجامعة الاميركية في مباراة الخطابة الارتجالية باللغة الانكليزية كما حصل في تلك السنة على شهادة بكالوريوس علوم في التعليم ، ثم عاد الى القدس حيث استقبله السيد بومن المدير العام لمعارف فلسطين والمرحوم احمد سامح الخالدي مساعده ، وبحثا معه امكانية انشاء مدرسة للمكفوفين في فلسطين ، تكون اول مدرسة من نوعها في الشرق الاوسط .

وكخطوة اولى اوفد في بعثة خاصة الى بريطانيا حيث حصل على شهادة (معلم علوم) في التربية والتعليم من دار المعلمين بادنبره سنة ١٩٣٤ ومن كلية المعلمين بلندن سنة ١٩٣٥ ومن هناك قصد سويسرا حيث امضى في معهد تعلم المكفوفين سنة وفي عام ١٩٣٦ والثورة قائمة في فلسطين عاد « صبحي » الى بيت المقدس وشرع في تاسيس « المدرسة العلائية للمكفوفين » في مدينة الخليل ، والباعث على اختيار مدينة الخليل بالذات مقرا لهذه المدرسة وجود اكبر نسبة من المكفوفين في تلك المحافظة . وظلت المدرسة تؤدي عملها برعاية مديرها « صبحي » الى ان نقلت سنة ١٩٤٩ الى رام الله .

وبعد توحيد ضفتي الاردن سنة ١٩٥٠ ظلت المدرسة مواصلة رسالتها الى يومنا هذا ، واهم خطوتين خطتهما هذه المدرسة هما :

ا ـ التحاق خريجي هذه المدرسة بالمدارس الثانوية العامة وقبولهم ، على قدم المساواة ، مع الطلاب الاخرين ، ولهذا السبب تخرج عدد من الطلاب المكفوفين بشهادات علمية جامعية .

ب ـ انشاء مطبعة بالحرف النافر باللغة العربية لطباعة الكتاب للمكفوفين واول كتاب طبع كان القرآن الكريم ووزع بطبعته النافرة في سائر انحاء العالمين العربي والاسلامي ، وما تزال هذه الطبعة توزع من المملكة الاردنية على جميع مدارس المكفوفين العربية والاسلامية .

وشارك « صبحي » في عدة مؤتمرات دولية لبحث شؤون تعليم المكفوفين منها مؤتمر اليونسكو للخط النافر المنعقد في باريس سنة ١٩٥١ كما انتدبته منظمة اليونسكو لدراسة تاسيس معهد للمكفوفين في بغداد سنة ١٩٥٤ وفي الكويت سنة ١٩٥٥ .

ونتيجة لدابه المتواصل في هذا القطاع الانساني انشا جمعية لتحسين حالة المكفوفين بالقدس والحق بها مصنعا لعمل الفرشايات والمكانس والادوات المنزلية ليتيح للمكفوفين توفير الحياة الفضلى ، كما انشأ « المكتبة الاهلية » للمكفوفين في مدينة القدس لتكون مرجعا لسائر المكفوفين في دراساتهم .

وفي سنة ١٩٥٢ اصدر مجلة باسم « صوت الضمير » بالاحرف النافرة يوزعها مجانا على من يطلبها من المكفوفين .

في يقيني ان « صبحي » ادى للمكفوفين في العالم العربي رسالة عامة ، فاذا كان الدكتور طه حسين قد حلق في سماء ادبنا المعاصر فالاستاذ صبحي الدجاني حلق في ميدان الخدمة الاجتماعية المكفوفين، وفتح امامهم آفاقا علمية واسعة ، واعاد اليهم ثقتهم بانفسهم ، ولم يعد المكفوف ينظر الى نفسه نظرة العاجز عن كسب رزقه بنفسه او انه عالة على المجتمع الذي يعيش فيه !

سلاح الاديب

سلاح العبقري بكل عصر
يراع منه ترتشف الصوابا
وكم خذل السلاح فتى ولكن
يراعك ما اهبت به استجابا
تقلم فيه اظفار الضواري
وتشرع للعدالة منه بابا
تمهد للشعوب علا وفوزا
وترفع من خرائبها قبابا
ومن قيم الحياة يراع حر
يؤلف من ملاحمها كتابا
وما نفع امرىء يأتي ويمضي
ولا يعطي عن الدنيا جوابا

جبيل ـ لبنان — شكر الله الجر

من آثاره القلمية : حصر « صبحي » آثار قلمه بكتب تتحدث عن المكفوفين وشؤونهم ، ومن الكتب التي نقلها الى العربية باسلوب طلي جذاب :

١ ـ حياة لويس برايل واعماله (بقلم بيير هنري) .
٢ ـ حيث اني كنت كفيفا (بقلم ايان فريزر) .
٣ ـ حكايات عن المكفوفين .
٤ ـ الرؤيا الرباعية .
٥ ـ استخدام المكفوفين في بريطانيا العظمى .
٦ ـ مكان في عالم النور (بقلم روبرت راسل) .
٧ ـ خطوات نحو النجوم (بقلم دانيال فراي) .
٨ ـ لويس برايل (نورمان وايمر) .

نموذج من نثره : « في الخامسة من عمره ، فقد بصره بعد الولادة بمدة قصيرة ، على اثر اصابته باحد الامراض التي تفتك بالعيون فتفقدها فاعليتها ، وتسد مسلكا مهما من مسالك العقل . ويفقد المصاب احدى حواسه وهي حاسة البصر ، دون ان ينتبه لفقدها ، ودون ان يشعر ان بينه وبين الاطفال الآخرين فرقا ، ذلك لان ابواب العقل في اول اطوار نموه هي الآذان والايدي فقط ، ولان العيون لا تلعب دورا مهما في تنمية العقل في السنة الاولى من الطفولة . ولذلك فقد كان فريد كغيره من الاطفال ، بعد فقدان بصره ، في سعة المخيلة وانحصار طرق الاختبار في التعرف على الاشياء الملموسة . نشا فريد بين احضان والدين حنونين كاد يتغلب عليهما اليأس ، شعرا بهول المصيبة ، وعلما ان ابنهما سينشأ اعمى ، وانه ليس في استطاعتهما انقاذه من هذه الظلمة الدائمة التي كتب له ان يعيش فيها . قضى فريد السنوات الخمس الاولى من حياته في محيط كله عطف وحنان ، وبين اشخاص يسهرون على راحته، ويجهدون انفسهم في سبيل اسعاده وتوفير اسباب الحياة له ، فلا يتركونه وحده لئلا يضر بنفسه ، او يضر باثاث البيت وآنيته ، ولا يأكل وحده لئلا تتسخ ثيابه ، ولا يمشي وحده في الشارع ، لئلا يضل الطريق ، او يسخر منه المارة .

عاش فريد بين ظهراني هذه الراحة ، ونما في احضان الرفاهية ، وتحت ظل من الشفقة وارف ، وفي ظلال من الاشفاق لا حد له ، فبات اتصاله بالعالم الخارجي قليلا ، واصبحت اختباراته في الحياة محدودة ، فقد كان حين دخل المدرسة لاول مرة كان يديه مغلولتان مقيدتان ، لا قبل له بمساعدة نفسه ، ولا يقبل المساعدة من غير امه ، فقد اصبح من واجب معلميه ان يخرجوه بالتدريج من الحياة التي تعودها في البيت ، الى حياة جديدة اساسها الاستقلال والاعتماد على النفس ، والاستغناء عن الغير في كثير من الامور اليومية .. عليه ان يمشي وحده في المدرسة ، وان يمشي بخطى سريعة ثابتة لا تردد فيها ولا انقباض ، وهو يستعين على ذلك باذنيه ، ويتعلم كيف يلاحظ وجود الحواجز امامه قبل ان يصطدم بها ، ويستدل على وجود هذه الحواجز عن طريق الهواء الملامس لوجهه ، ويصدى خطاه المتزنة . وهنا يتعرف فريد على الحركة الحرة فيقوى جسمه ، ويتسع خياله ، وتتضاعف مصادر اختباره ، ويتسنى له اظهار شخصيته وان كان ضريرا . ولقد كان فريد حينما دخل المدرسة ، شان كثير من الاطفال المكفوفين ، قد تعود عادات آلية قبيحة لجا اليها كسلوى له في وحدته، فقد كان يضع يديه في عينيه ، او يلعب باظفاره او يعضها ، وقد كان يهز راسه يمنة ويسرة ، او يرفع كتفيه بدون مبرر ، او يعبث بثيابه، واغلب الظن ان ذويه لاحظوا فيه هذه الامور في اول الامر ، ولكنهم لم يريدوا ان يردعوه ، لئلا يسيئوا اليه . ثم تعودوا رؤية هذه الحركات منه فلم يفكروا فيها ، فواجب المدرسة الثاني الآن نحو هذا الطفل الضرير هو انقاذه من هذه العادات التي لا يستسيغها المجتمع ، والتي تجعل صاحبها عرضة للهمز واللمز اذا وجد بين اناس لا يشعرون معه كما يشعر معه ذووه . وسرعة التخلص من هذه العادات متوقفة على قوة ارادة الطفل ، ولكن الاستمرار والتكرار لا بد ان يتركا اثرا في الطفل مهما قل ذكاؤه ، وانعدم استعداده .

هذه بعض الامور التي تواجه المعلمين في مدارس المكفوفين ، والتي يتحتم البت فيها خارج الصفوف . اما في الصف فهنالك مشاكل اخرى لا تعرض للمعلم الاعتيادي ... فالطفل الضرير لا يستفيد من الكتابة على اللوح الاسود ، ولا تؤثر عليه حركات يدي المعلم ، ولا ملامح وجهه، ولا تستهويه الصور والالوان ، بل يجب ان نسترعي انتباهه بالصوت، ويجب ان نستهويه ونثير لذته وحماسته بالصوت ، ويجب ان نؤثر عليه بالصوت ، ولكن هذه الاشياء لا تتيسر بالصوت العالي ، فرب همسة اثرت اكثر من صرخة ، وخير المعلمين في مدارس المكفوفين من حباه الله صوتا مؤثرا خلابا ، يجتذب القلوب اذا تكلم ، ويحصر انتباه السامع دون اجهاد او الحاح ، وفريد كسائر الاطفال المكفوفين ، لا يدرك الا الاشياء الملموسة . فبعد اذنيه في الاهمية تاتي يداه ، بواسطتهما يتعرف على الاشكال الاخرى . وهنا يستفيد المعلم فائدة كبرى من آراء وطرق المربية الشهيرة الدكتورة منتسوري التي ترتكز على فكرة جعل الطفل كفيفا كان ام مبصرا ، يستعمل يديه ، اذ يطلب منه ان يرتب دوائر مختلفة الاحجام ، بحيث تكون اكبرها في الاسفل ، واصغرها في الاعلى ، ويطلب منه ان يضع مسامير في تجاويف خاصة ، فيكون خطوطا او دوائر ، وتكون هذه التمارين توطئة لتعليمه القراءة فالخط النقطي الذي سيستعين به فريد على التعرف على العالم الخارجي في المستقبل ، انما هو عبارة عن نقاط صغيرة ترتب باوضاع مختلفة للدلالة على الحروف والرموز والارقام .

ولكي يتسنى لهذا الطفل ولغيره من الاطفال الاستفادة من هذه الطريقة ، يجب ان تصبح انامله حساسة جدا ، لتتمكن من لمس النقط دون عناء وليس هذا بالامر السهل ، فكثير من الاطفال يتعلمون القراءة بالخط النقطي ، ولكنهم لا يدركون الغاية منها ، لبطئهم ولضعف حساسية اناملهم . يتعلم فريد الحروف اولا بمسامير كبيرة الحجم ، ثم تطبع له على ورق سميك ثم توضع بين يديه كتب مطبوعة على ورق اقل سمكا ، حيث تكون النقط فيها اصغر حجما ومتقاربة » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

الساعة تشير الى العاشرة تماما . عندما دخلت فناء الجامعة، خطواتي كادت ان تتلعثم عندما كنت انهب الدرجات القليلة نحو القاعة . لم يخطر ببالي ان ارى هذا الجمع الحاشد من الطلاب ، يتجمعون متهامسين امام باب قاعة المحاضرات، في حين ان وقت المحاضرة يكاد يدركنا !

— ماذا في الامر ؟ احس بغلالة كآبة توشح جو المكان !

ولكنني سرعان ما انغمرت في حومة الجمع مستفسرا :

— ما الخبر ؟

هتفت محطما قوقعة الاستغراب! فجاءني صوت احد الزملاء قائلا بخشوع قاتم :

— الم تسمع النبأ ؟ زميلتنا (ناهد) قد انتحرت !

تلقيت النبأ كالسيف القاطع . قلبي بدأ يخفق بشدة ، ولم استطع ان اقف على قدمي ! الاضطراب لا زال يستبد بي . انتحيت قليلا عن الجمع ، مستجمعا بعض الجأش .. لم ادر كيف تلقيت هذا النبأ ! لقد هز كياني . تساءلت بحيرة :

— يا الله .. انني لدهش جدا ! هل خمدت جذوة الحياة فيها الآن ؟ انني لمذهل . هل الحياة رخيصة الى هذا الحد ؟!.

عدت الى طيات ذهني المكدود استعيد صورتها . وهل يمكن ان انسى صورتها بهذه السرعة ! البارحة كنا معا نتحادث !! تكاد الهواجس ان تكذب صحة هذا النبأ المفجع .. يجب ان اتأكد من الامر .. يستحيل ! قد يكون في الامر التباس ما !.. في المرة الثانية تأكدت ان الخبر يقين .. آه .. اية غيوم تضطرم في وتتاجج ؟ بدات ارتاب من تبكيت ضميري ، كلما تراءت صورتها في مخيلتي . اصداء نفسي المتوترة، تشير باصبع الاتهام نحوي:

— انت الذي قتلتها !!

اواه .. كيف اتصور الموت !.

على الفور نابت الى الفناء الخلفي . بعد ان شعرت بدوار في راسي . والالم يتقاذفني .. الفكر ما برح يبرر التهمة مبعدا الشبهة عنه :

— ولكن ما ذنبي انا ؟ انها الاقدار التي رمتها في دربي ! لم اكن اكثر من مجامل ، تلك هي الحقيقة !.

احسست بالغثيان يسري في حلقي ، ثم انتصبت واقفا وانا اغمغم . انني اتصور الحياة كذبابة اريد سحقها ! حاولت ان اخطو ، بل رغبت ان اعدو ! ولكني شعرت كان قدماي قد التصقتا في الارض.. عجبا فيما اخب .. لم اتمكن من السير الا بصعوبة بالغة ! حاولت سحب قدمي من الارض سحبا ، كان اقدامي تنوص في تربة رملية ،



بقلم نادر السباعي

رباه .. اريد ان اخطو .. اريد ان اهرب من تعنيف الضمير القاتل ! حاولت اجتياز الحرم الجامعي ، وكأني قطعت نصف العالم ، وفي غور اعماقي طمانينتي المسلوبة تردد بعنف :

— انت القاتل .. انت القاتل !!

★

ان علاقتنا خالية من كل شائبة.



لم ادرك في حينها انها سوف تتعاظم الى هذا الحد ! رغم انني في بادىء الامر حاولت تجنبها ، ولكنني تساهلت بحديث عابر ، ثم اردفته ببسمة مجاملة .. لم ادر ان هذه البسمة سوف تجد في نفسها مرتعا خصبا !

— سحقا لك ايتها البسمة الخرقاء !!

انني لم اتوقع هذا الحب البريء ، الذي عشعش في حناياها الطاهرة ، ولم يكن في الحسبان .. لقد ترعرعت نبتة الامل وغدت شجرة حب باسقة ، ضربت جذورها في الفؤاد ، واوراقها عبر شفتين قرمزيتين تفوحان اريجا عطرا ، كم كانت تعب من ينبوع لقائنا وترشف بعفوية ورجاء ! لقد استرسلت (ناهد) كثيرا في حلمها ، بل شيدت عوالم قدسية مثلى ، دون ان تحسب للاقدار ايما حساب ! عاشت على انغام الخيال الخصب ، الذي وجدت فيه عالمها المخملي . لقد تمسكت بالحب الصامت كأنها ترهب المكاشفة ، بدت كأنها قانعة بالكلمة الحلوة والبسمة العاطرة .. الحقيقة لم اهتد الى حل ! رغم انني حاولت الكشف عن وجه الحقيقة ، ولكنني رأفت بحال قلبها الصغير . لقد انخدعت ، وتفتح قلبها لحبي ، كما تتفتح الزهرة النضرة للفجر الباسم . لقد استهوتني طبيعتها الرقيقة ، ولكنها وضعتني في دوامة اليأس والقنوط والحيرة ! صممت اخيرا على جلاء الامر امامها !! بلى .. لقد تمزقت من جحيم الصمت . حاولت ان امزق ثوب الواقع ، ولكن على ان اشرح لها الامر ، انتبذت واياها مكانا خليا . قلت لها مستعطفا :

— ناهد !

احسست بانني اريد ان افصح عن حقيقة ما . اردفت قائلا :

— اريد ان احدثك .

— قل ما تريد يا عصام ..

الجمال الامثل

جمالك يسمو بمعنى الجمال — اذا لاح يلهب لي خاطري
وجسمك هذا العجيب المثال — يذل بابداعه ناظري
نسيت بحبك معنى الوجود — فما الامس؟ما الغد؟ ماحاضري؟
كاني اعيش بحلم غريب — وحسنك فيه بلا آخر
يحيرني اليوم في مقلتيك — ذهول اذا لاح لي آسري
فيا فتنة الروح لا تعجبي — اذا ما صبا الشعر بالشاعر
جمالك يزهو بدنيا الجمال — ويختال في صولة الآمر

بغداد — عبد الخالق فريد

(اطلقتها وعلى محياها بسمة طافحة بالبشر) .

اعلنت بعد ان شعرت بارتباك واضح :

ــ ما رايك بالحب ؟

رايت العينين الخضراوين قد ازهرتا ، وملامحها قد تخضلت بحمرة طفيفة اكسبتها بهاءا ونضارة ، قالت بعد ان تنحنحت :

ــ هل اجابتي مرهونة بامر ما ؟

ــ بلى !

عقبت بخفة ودلال :

ــ ان الحب هو القاسم المشترك الاعظم بين قلوب البشر ، وبفضله دفعت عجلة المدنية نحو الرقي والابداع الخلاق ...

قاطعتها بعفوية :

ــ اريد رايك النسبي يا ناهد بصورته الواقعية ! هل تحبينني ؟

هزت راسها والضحكة قد فاضت على محياها . قالت بحياء :

ــ نعم ..

يا الله .. ما اشد بؤسي وشقائي ! انني اكاد انفجر من شدة تعاستي . كيف يسعني ان ارفض هذا الملاك ؟ وامزق احلامه النقية ! حقا انني لمنكود الحظ ، كتب علي الشقاء وانا في احضان النعيم .. انني لم اعد احتمل ، اشرفت على الهلاك ! لا بد من ان اقول لها حتى ابعد الغم عني . قلت معاتبا :

ــ لكن لماذا انا بالذات احببتني يا ناهد ! لماذا ؟ هناك شبان كثيرون يحيطون بك ، ويتمنون البسمة منك !!

اعلنت ضاحكة دون ان تعي حقيقة مشاعري :

ــ ليس عند قلبي تفسير يا عصام .. انك اعجبتني انت بالذات !

احسست بلسعة الالم تخزني بشدة ، والحيرة قد استبدت بي . (كيف اودي بصرح آمالها في لحظة واحدة ؟!) قلت مستعطفا اياها برجاء :

ــ ما نتيجة هذا الحب يا ناهد اذا لم يتوج بالزواج ؟!

قاطعتني بدهشة بعد ان تصفحت سحنتي المضطربة :

ــ ما بك يا عصام ؟ ما الذي بك !

اعقبت متحرجا بينما هي تصيخ الي باستغراب :

ــ انني لست الانسان الذي يمكنه ان يحقق احلامك !!

ــ ما مبرر ما تقول ؟ انني اراك متشائما جدا !

افصحت بمرارة قطعت فيها خيط الامل الذي تحيا به ! دفعة واحدة قد انهدم الحلم المرجاني ، الذي التقطت حجارته اللآلاءة ، من شطآن بحورها الواسعة :

ــ هناك انسانة اخرى تنتظرني ! خطبتها منذ عام ولم تعلن الخطوبة ، ريثما انهي تحصيلي اواخر هذا العام !!

والبلية كانت اعظم عند سماع النبأ .. صعقت .. اهتزت من قمة راسها حتى اخمص قدميها ! ان كلماتي البائسة ، كفيلة ان تفجر ينبوع الدموع . سرعان ما تبدلت ملامحها ، من شمس مشعة الى ظلمة كابية ! والخدود الحمر تستقي الدموع النزار بضراعة وعفوية وصمت !!

ــ ناهد ! ناهد ! ما بك بحق الله؟

لم تنبس ببنت شفة ! اشاحت بوجهها عني ، ثم خطت بعصبية دون ان تلتفت الي ، غادرت فناء الجامعة تتبع مصيرها المجهول !

★

سرت وحيدا وزخم الحياة القاتل يلوكني باحتقار . تساءلت بحيرة :

ــ لماذا فعلت ذلك ، لماذا قطعت عليها امل الحياة ؟

الم تكن جديرة بك لتاخذ بيدها في رحاب الحياة الزاخرة !! انني لا املك لتلك الاسهم النفاذة سوى ذلك التسويغ العفن :

ــ ما ذنبي ؟ ما حيلتي حتى يتمرغ الالم على صفحة جسدي المرهق !

ما جريرتي .. الحياة هي دوما الحياة !

دموع .. قلوب مغبرة ... والامل التعيس بيد الاقدار !

الرواية تعيد نفسها .. فلا شيء يبقى !

سوى الهيكل البشري ... سوى الموت !!

حلب — نادر السباعي